مدارسة
القرآن الكريم

﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

مدارسة سورة البقرة
دراسة إجمالية

مع الأستاذة

أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

– هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

– الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السّميري

"الجزء الأوّل"

اللّقاء الأوّل: الخميس ٣ المحرّم ١٤٤٠ هـ

"مدارسة إجمالية لمقدّمة السّورة من الآية (١) إلى الآية (٢٠)"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة حول طريقة الدّراسة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن، أهله وخاصّته، اللّهمّ آمين.

١ – ما معنى الدّراسة الإجماليّة؟

بسم الله توكّلنا على الله، سنبدأ **"بدراسة سورة البقرة دراسة إجماليّة"** وهذا يجعلنا نفكّر في معنى **"الدّراسة الإجماليّة"** و **"الدّراسة التّفصيليّة"** ونقول بشيء من الاختصار أنّ:

تعريف الدّراسة الإجماليّة:

"الدّراسة الإجماليّة" هي النّظر على وجه الإجمال للسّورة بحيث أنّك تستطيع أن تميّز موضوع مطلع السّورة وموضوع خاتمة السّورة، كيف حصلت انتقالات في السّورة؟ ومن ثمّ فإنّنا نخرج بنتائج كثيرة تفصيليّة.

٢ – ما هي طرق الدّراسة للسّور؟

هناك طريقتان في هذه الدّراسة:

الطّريقة الأولى: بأن أدرس الإجمال أوّلا متتابعًا، ثمّ أدرس التّفصيل متتابعًا.

الطّريقة الثّانية: بأن أدرس هذا الجزء بالإجمال، ثمّ أدرسه هو نفسه بالتّفصيل.

وهذا يعتمد على تفرّغنا للطّلب كلّ على حسبه، فإذَا كنت متفرّغة للطّلب سيكون الأسهل عليك أن تدرسي بالإجمال، وفي نفس الوقت الّذي درستِ فيه إجمالًا تدرسين تفصيلًا مباشرة، ثمّ بعد ذلك تدرسين المجمل، ثمّ تدرسين المفصّل مباشرة.

٣- ما هي الطّريقة الّتي سنعتمدها هنا في دراستنا لسورة البقرة؟

الطّريقة الثّانية هي الّتي سنعتمدها.

٤- معرفة الرّوابط والمناسبات بين أجزاء السّورة: هي من أهمّ أهداف الدّراسة الإجماليّة خاصّة في السّور الطّوال: ما هي الفائدة من ذلك؟

بسم الله سنرى أهداف **"الدّراسة الإجماليّة"** وأهداف **"الدّراسة التّفصيليّة"** لن نقول كلّ الأهداف وإنّما في كلّ مرّة نقول هدفًا.

فوائد الدّراسة الإجماليّة:

الفائدة الأولى: معرفة الرّوابط والمناسبات بين أجزاء السّورة:

هي من أهمّ أهداف الدّراسة الإجماليّة خاصّة في السّور الطّوال لأنّ هذا مفيد جدّا في السّور الطّوال.

الفائدة الثّانية: تجزئة السّورة إلى وحدات موضوعيّة:

عادة تحصل انتقالات وأنت تقرئين السّورة يكون فيها سؤال استفهام: (لماذا انتُقل من هذا الموضوع إلى هذا الموضوع؟) فتأتي الدّراسة الإجماليّة تجعل كلّ جزء من السّورة كأنّه وحدة موضوعيّة، ثمّ بعد ذلك يُقال لك: (وهذا الجزء ننتقل منه إلى هذا الجزء برابط كذا وكذا).

الفائدة الثّالثة: ملاحظة ما في السّورة من مفاهيم:

تأتي الفائدة الثّالثة من الدّراسة الإجماليّة، ملاحظة ما في السّورة من مفاهيم.

٥- ما هي خطوات دراسة القرآن؟

الآن عندما تنظرين لدراستك للقرآن ستجدين أنّك تدرسين القرآن بخطوات:

الخطوة الأولى: إتقان الحرف:

أوّلا تبدئين بإتقان الحرف، يعني تقرئين السّورة جيّدًا.

الخطوة الثّانية: فهم معنى الغريب من الكلمات:

ثمّ تنتقلين من إتقان الحرف إلى فهم معنى الغريب من الكلمات فهذا أوّل شيء يثيرك: (ما معنى هذه الكلمة؟).

الخطوة الثّالثة: فهم مجمل الآية:

ثمّ من فهم معاني الكلمات لفهم مجمل الآية.

الخطوة الرّابعة: المفاهيم الّتي تدلّ عليها الآيات:

ثمّ ننتقل إلى أعلى من ذلك وهو المفهوم الّذي تدلّ عليه الآيات، ولابدّ أن نطبّق لكي نعرف الفرق بين المفاهيم وبين الفهم، المفاهيم لا تأتي إلّا من الفهم، لكن المفاهيم فوق الفهم.

٦– ما هي أهمّيّة فهم المفاهيم الّتي تدلّ عليها الآيات؟

أخبروني الآن كم خطوة سنخطو ونحن ندرس الآيات؟ ستتقنين الحرف، ثمّ بعد ذلك فهم الغريب، ثمّ فهم معنى الآيات؛ وهذا الشّيء دائمًا مشهور بأن تقرأ الآيات وتفهم الآيات، وأمّا الفهم فهناك فهم للكلمة الغريبة وهناك فهم للآية إجمالًا الّذي هو التّفسير.

أ– المفاهيم الّتي فهمتها هي الّتي ستصبح فيما بعد قواعد تفكّر بها:

فوق هذه المرحلة هناك مرحلة أعلى، اسمها: المفاهيم، حيث أنّ هذه المفاهيم الّتي فهمتها هي الّتي ستصبح فيما بعد قواعد تفكّرين بها.

ب– "مفهوم الفوز" مثال عمليّ لفهم معنى المفاهيم:

دعونا نضرب مثالًا بعيدًا وبعد ذلك يتبيّن لنا –إن شاء الله– من خلال السّورة:

لو نأتي الآن إلى مفهوم يُعتبر من أهمّ المفاهيم لأيّ إنسان يعيش في الحياة مسلمًا كان أو كافرًا وهو "**مفهوم الفوز**" مَن الفائز؟ مَن الّذي سيفوز؟ وهذا المفهوم بالذّات من المفاهيم المبتذلة! الآن أصبح الشّيء السّخيف التّافه يُطلقون على مَن حصّله بأنّه فائز! فلان فاز!

حين تقرئين القرآن وتأتين لسورة مثل سورة آل عمران، سيكون أحد المفاهيم المهمّة فيها أن تقول لك: مَن الفائز؟ خاصّة وأنّ فيها الكلام عن غزوة أحد وما حصل فيها من هزيمة فيما يظهر للمسلمين، فتأتي

السّورة بمجمل مقاطعها تقول لك: مَن الفائز؟ إلى أن تصلي إلى قوله تعالى: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}(١).

فإذًا هذا مفهوم وإن كان نُصّ عليه "مَن هو الفائز؟" لكن طوال السّورة خاصّة في الجزء الّذي يتكلّم عن غزوة أحد، كان يُقال لك بأنّ الفائز الحقيقي الّذي يفوز في النّهاية هو الّذي يُزحزح عن النّار! حتّى لو كان في الصّورة الظّاهريّة هناك خسارات.

فلن تصل إلى هذا بمجرّد أنّ تقرأ أو تفهم الغريب أو حتّى أن تفهم التّفسير فالمسألة فوق ذلك.

إذًا من فوائد الدّراسة الإجماليّة الوصول إلى المفاهيم، وقد كنّا اتّفقنا بأنّ الدّراسة الإجماليّة ليس فيها تفسير! لهذا فإنّ الدّراسة الإجماليّة تتداخل مع الدّراسة التّفصيليّة، بمعنى: أنّك تدرسين إجمالًا ثمّ تقرئين التّفسير، ثمّ ترجعين بعد ذلك مرّة ثانية تراجعين المجمل وتخرجين بالنّتائج.

قد تجدين صعوبة في الكلام النّظري، لكن حالما نطبّق ستجدين -إن شاء الله- المسألة سَلِسَة جدًّا في التّطبيق.

ويكفينا أنّنا نسعى إلى رضوان الله، وهذا هو الّذي لابدّ أن يشغل قلوبنا وأنّ كلّ هذه الدّراسة وكلّ هذا البذل ما هو إلّا سعي إلى رضوان الله.

نسأل الله أن يتقبّل منّا جميعًا، ويجعله مجلسًا مباركًا يشرح به صدورنا، ويرفع به درجاتنا، وتكون الملائكة معنا، ونكون ممّن يُقال لهم: (قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ)(٢) اللّهمّ آمين.

مقدّمة حول "علم المناسبات"

"علم المناسبات" من علوم القرآن وهو من الفوائد الّتي نجدها في الدّراسة الإجماليّة:

بسم الله سنستفتح الآن المسألة للتّطبيق، سنبدأ أوّلًا بالتّفكير في العلاقة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة.

أ- أوّل شيء في "علم المناسبات" أن تفكّر في العلاقة بين السّورة الّتي تدرسها بالسّورة الّتي تسبقها:

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢٦٠).

وهذا من الفوائد الّتي نجدها في الدّراسة الإجماليّة: **"علم المناسبات"** هو علم مشهور في علوم القرآن، فأوّل شيء في علم المناسبات أنّك تقولين: (هذه السّورة الّتي أدرسها ما علاقتها بالسّورة السّابقة؟) يعني أنت تدرسين البقرة فإذًا ستفكّرين في الفاتحة.

المناسبة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة

١– الرّبط بدلالة اللّفظ:

أ– رابط "الهداية": الأمر بسؤال الله الهداية وتعلّم كتاب الله للوصول إلى الهداية:

الآن فكّروا في مطلع البقرة وفي الفاتحة وهاتوا كلمة تكون مشتركة بين مطلع البقرة وبين سورة الفاتحة من دلالة الكلمة، ليس من المعنى وإنّما كلمة مشتركة تجدينها في مطلع البقرة وتجدينها في سورة الفاتحة:

إذًا أنت تجدين في سورة البقرة {هُدًى}[١] وتجدين في الفاتحة {اهْدِنَا}[٢] بدلالة الكلمة عرفت بأنّ هناك علاقة، فهنا: {اهْدِنَا} وهنا: {هُدًى}، بقي أن تكتبي جملة مفيدة لكي تكوّني الرّابط بين: {اهْدِنَا} وبين: {هُدًى}:

- في سورة الفاتحة الله –عزّ وجلّ– أمر الصّادقين أن يطلبوا الهداية إلى الصّراط المستقيم.
- وفي سورة البقرة دُلّ هؤلاء الصّادقين على الطّريق العملي للهداية.

الآن نتيجة هذا الكلام: لو سألتك كيف تفهمين **"الهداية"**؟ من الفاتحة والبقرة حاولي أن تعبّري من الاثنين معًا، ماذا ستفعلين لكي تصلي إلى الهداية؟ طلبها من ربّ العالمين بالدّعاء –دعاء المسألة– وبذل الجهد في فهم كتاب الله، يعني يصير هناك جانب متّصل بالدّعاء، سؤال الله الهداية وتعلّم كتاب الله للوصول إلى الهداية.

فلا تستطيع أن تهتدي بمجرّد أن تقرأ، فأنت تعلمين بأنّ كثيرًا من المستشرقين وصل أن يحفظ كتاب الله! وليس فقط يقرؤه ومع ذلك لم يصل إلى الهداية! لماذا؟ لأنّ ليس عنده صدق في طلب الهداية، وليس هناك سؤال للهداية من الله، فلابدّ أن يكون العملين معًا. من أين وصلت إلى هذا؟ من الرّابط الّذي بين سورة الفاتحة وسورة البقرة.

---

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) سورة الفاتحة: ٦.

سورة الفاتحة تقول: الصّادقون يطلبون الهداية بألسنتهم في دعائهم ويتعلّمون كتاب الله ليصلوا إلى هذه الهداية. إذًا صدقت في طلب الهداية فتعلّم كتاب الله للوصول إلى هذه الهداية. فهكذا فهمت على الأقلّ الطّريقين الّذين يوصلانك إلى الهداية:

- **اطلبيها بالدّعاء.**
- **واعملي في طلب العلم لكي تصلي إلى الهداية.**

بذلك نكون أتينا بالرّابط بين سورة الفاتحة وبين سورة البقرة، هذا الرّابط في علوم القرآن اسمه: **"المناسبة بين سورة البقرة وبين سورة الفاتحة"**.

وقد رأيتم كيف تكرّرت لفظة **"الهُدَى"** في مطلع سورة البقرة؟ {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}. ثمّ بعد ذلك: {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[١] فمعنى ذلك أنّ **"الهداية"** هي الموضوع الرّئيسي في هذه المسألة.

٢- الرّبط بدلالة المعنى:

أ- رابط "حال {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} و {الضّالّين}": البقرة فيها أخبار عن حال المغضوب عليهم والضّالّين:

ممكن تأتي كذلك برابط آخر لكن ليس بدلالة اللّفظ مثل **"الهداية"** وإنّما بدلالة **"المعنى"** الّذي تعرفينه، الموجود في سورة البقرة والموجود في سورة الفاتحة لكن ليس من المطلع وإنّما عمومًا؟

أنت تعرفين بأنّ السّورة فيها نقاش كثير عن بني إسرائيل، وهم في الفاتحة يعتبرون نموذجًا لـ {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}[٢].

ثمّ تأتي آل عمران فيها الكلام عن النّصارى الّذين يعتبرون نموذجًا لـ {الضّالّين}، وهذا لا يعني بأنّ البقرة ليس فيها الكلام عن النّصارى وإنّما فيها إشارات للنّصارى، وكذلك هذا لا يعني بأنّ آل عمران ليس فيها الكلام عن اليهود وإنّما فيها كلام عن اليهود، لكن غلب الكلام عن اليهود في البقرة وغلب الكلام عن النّصارى في آل عمران.

---

(١) سورة البقرة: ٥.

(٢) سورة الفاتحة: ٧.

ركّزوا الآن معي كيف وجدنا هذا الرابط؟ وجدناه بالمعنى، يعني هكذا عرفنا: بأنّ البقرة فيها أخبار عن حال {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} و {الضّالّينَ}.

٣- ما هي العلاقة بين هذين المعنيين: رابط "الهداية" ورابط "حال {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} و {الضّالّينَ}"؟

أ- سورة البقرة ستصف لنا طريق الهداية وتصف لنا طريق الضّلال وتحذّرنا منه:

فإذًا الآن أتيت برابطين هما: رابط "**الهداية**" ورابط "**حال {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} و {الضّالّينَ}**"

كوّني علاقة بين هذين المعنيين:

سورة البقرة أتت لكي تبيّن لي كيف أهتدي؟ أتعلّم القرآن من أجل أن أهتدي.

وأيضًا أتت لتصف لي طريق المغضوب عليهم والضّالّين، يعني طريق الهداية وضدّ طريق الهداية.

أنت في الفاتحة قلت: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} قيل لك في كتاب الله تفاصيل الصّراط المستقيم، قلت: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} واحفظني من طريق: {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضّالّينَ} قيل لك: وفي القرآن في سورة البقرة خاصّة تفاصيل صراط {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} و {الضّالّينَ}.

الآن أصبح هناك طريقان: هناك طريق للمهتدين وطريق للمغضوب عليهم والضّالّين.

وسورة البقرة وصفت لنا طريق الهداية ووصفت لنا طريق الضّلال وتحذّرنا منه؛ لأنّ الإنسان عندما يريد أن يهتدي فإنّه لا يكفيه أن يعرف فقط طريق الهداية، وإنّما لابدّ أن يعرف طريق الهداية لكي يسلكه وكذلك طريق الضّلالة لأجل أن يتجنّبه؛ فصار هذا كأنّه جمع بين المفهومين السّابقين.

مدارسة مطلع سورة البقرة من الآية (١) إلى الآية (٢٠)

"الثّناء على الكتاب وأقسام النّاس تجاه الكتاب"

١- إلى كم قسم تُقَسّمُ سورة البقرة؟

سورة البقرة فيها مقدّمة وخاتمة و ٤ مقاصد:

أخرجي المقدّمة والخاتمة ولا تعتبريها من الأقسام؛ لأنّ المقدّمة والخاتمة هذه مشتركة بين كلّ سور القرآن، فكلّ سور القرآن فيها مقدّمة وخاتمة، فإذًا سورة البقرة على طولها فيها مقدّمة وخاتمة و٤ مقاصد.

مطلع سورة البقرة من الآية (١) إلى الآية (٢٠): الثّناء على كتاب الله:

المقدّمة ستكون من الآية (١) إلى الآية (٢٠): سنبدأ بهذا المطلع وهو لطيف جدّا وواضح جدّا وسهل جدّا في التّقسيم وفي الكلام النّظري، وهو أصعب ما يكون في التّمييز الواقعي! فهو أسهل ما يكون حين تريدين تقسيمه إلى عناوين، وكذلك يصبح سهلًا في الحفظ والتّسميع وكلّ ما يخصّ النّظري، لكن عندما نأتي إلى تمييز أنفسنا فإنّ هذا المقطع أصعب ما يكون!

وهذا هو المقطع الّذي ستعتمد عليه خاتمة السّورة، ستأتي خاتمة السّورة وتغلق لك المعنى من هذا الابتداء، سنرى:

الخبر عن الثّناء على كتاب الله: من الآية (١) إلى الآية (٢)

١– الخبر عن الثّناء على كتاب الله:

أ– دلالة ابتداء السّور بالحروف المقطّعة على الثّناء على كتاب الله:

سنبتدأ القراءة من الآية (١) إلى الآية (٥) وسنرى المعنى الّذي تدور حوله الآيات:

يقول الله عزّ وجلّ: {الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)}.

الآية (١): الحروف المقطّعة، ثمّ تأتين إلى قوله تعالى: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ} إلى هنا ثناء على كتاب الله، من الثّناء على كتاب الله أتى الكلام عن المتّقين، كيف ذلك؟ فالآيات لم تأتِ تصف المتّقين وإنّما ثناء على الكتاب، فإذًا هذه هي النّقطة الرّئيسيّة هنا في مطلع السّورة: فإنّ مطلع سورة البقرة ثناء على كتاب الله.

من لطائف التّدبّر (١)

سنلحظ بأنّ كلّ سورة تبدأ بالحروف المقطّعة فإنّه لابدّ أن يكون موضوع السّورة الثّناء على كتاب الله، ومن الثّناء على كتاب الله تأتي المواضيع الأخرى.

ب- تطبيق قاعدة الحروف المقطّعة على مطلع سورة يونس:

دعونا نجرّب ونرى في المصحف، لو بدأنا مثلًا بسورة يونس الآية (١):

يقول الله عزّ وجلّ: {الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ}.

ما هو الثّناء عن كتاب الله في سورة يونس؟ {الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} أين الثّناء؟

١. {تِلْكَ} اسم الإشارة للبعيد المرتفع سيدلّك على ارتفاع منزلة القرآن، وبعد ذلك: {تِلْكَ آيَاتُ} {آيَاتُ} هي إشارة إلى الآيات الّتي تعرفينها.

ثمّ بعد ذلك ما هي الكلمة الثّانية الّتي فيها مدح؟

٢. {الْكِتَابِ} أين المدح فيها؟ فنفس كلمة الكتاب فيها مدح: "ألف لام" الّتي في {الْكِتَابِ} تدلّك على الاستغراق، يعني لا يوجد كتاب يصلح أن يكون كتابًا على الحقيقة إلّا هذا الكتاب، فهو الكتاب على الحقيقة.

فصار المدح الآن: {تِلْكَ} الدّالّة على ارتفاع منزلته، و"الألف واللاّم" الّتي في {الْكِتَابِ} دالّة على استحقاقه أن يكون كتابًا؛ وعلى ذلك تستطيعين التّمييز بعقلك، فهناك كتب تستحقّ أن تكون كتبًا وهناك كتب لا تستحقّ حتّى الحبر الّذي كُتب بها! فالكتاب الّذي يُعتبر هو الكتاب على الإطلاق الّذي يصحّ ويستحقّ أن يسمّى كتابًا هو: هذا الكتاب.

كذلك أتى الوصف الثّالث له والمدح الثّالث:

٣. {الْحَكِيمِ} فوُصف بأنّ كلّ شيء قد وُضع في مكانه.

ج- تطبيق قاعدة الحروف المقطّعة على مطلع سورة البقرة:

فإذًا بنفس الطّريقة ارجعي إلى سورة البقرة وأخبريني كيف مُدح الكتاب؟

١. سنبدأ بِـ {ذَٰلِكَ} اسم الإشارة الدّالّ على ارتفاع منزلته.

٢. ثمّ بعد ذلك المدح الثّاني: {الْكِتَابِ} "الألف واللاّم" في {الْكِتَابِ} الدّالّ على أنّه {الْكِتَابِ} على الحقيقة.

٣. وبعد ذلك يأتي المدح {لَا رَيْبَ} إذا نُفي الرّيب {لَا رَيْبَ} سيُثبت ماذا؟ يعني ضدّ الشّكّ اليقين، يعني {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ} الّذي على الحقيقة هو الكتاب الّذي يتضمّن العلم اليقينيّ.

٤. سنرى الآن {هُدًى} كيف سيكون مدحها هل هو للكتاب أو للمتّقين؟ هذه الآية أنت تستطيعين قراءتها بطريقتين، أخبروني ما هما الطّريقتان؟

١) القراءة الأولى: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ} هذه هي القراءة المشهورة {لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ} ثمّ تقفين، ثمّ تقولين: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}.

٢) القراءة الثّانية: وأيضا هي مشهورة {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ} وتقفين عند {لَا رَيْبَ} ثمّ {فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}.

لذلك فإنّ مناقشة {هُدًى} تصير منفصلة، يعني الآن لو قرأت بالقراءة الأولى {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ} كم صار من مدح للكتاب؟ {ذَٰلِكَ} و"الألف واللاّم" الّتي في {الْكِتَابِ} و {لَا رَيْبَ} ثمّ بعد ذلك {فِيهِ ۛ هُدًى} لكلّ النّاس؟ لا! وإنّما {لِّلْمُتَّقِينَ} يعني {الْكِتَابِ} {فِيهِ ۛ هُدًى} لكن من الّذي يهتدي به؟ {لِّلْمُتَّقِينَ}.

ولو قرأتها على القراءة الثّانية: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ} إشارة إلى صفة واحدة وهي أنّه لا شكّ فيه، ثمّ بعد ذلك {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} إشارة إلى أنّ المتّقين هم المنتفعون.

ففي النّهاية النّتيجة واحدة سواء قرأته هكذا أو قرأته هكذا فالنّتيجة واحدة، لكن يزيدك فَهْمًا أن تقفي عند {لَا رَيْبَ} فلو وقفت عند {لَا رَيْبَ} سيتبيّن لك أنّ الكتاب فيه {هُدًى} لكن لمن؟ {لِّلْمُتَّقِينَ} {فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}.الخبر عن أقسام النّاس تجاه الكتاب وملاحظة كيف سمّاهم الله؟

الخبر عن القسم الأوّل: المتّقون: من الآية (٢) إلى الآية (٥)

١– سؤال الواجب العملي الأوّل: هل الكتاب هدى للنّاس أم للمتّقين؟

الآن نأتي إلى {هُدًى}:

{هُدًى} ستصير صفة للكتاب، لكن هل هذه صفة لقارئي الكتاب؟ يعني كلّ أحد قرأ الكتاب سيكون الكتاب له {هُدًى}؟ لا! وإنّما الكتاب {هُدًى} لمن كان مُتّقيًا؛ ودائمًا هنا نجد مشكلة لأنّنا نتصوّر أنّ الكتاب {هُدًى} للنّاس! وهذا التّصوّر صحيح.

في سورة البقرة الآيات الّتي فيها خبر عن شهر رمضان قال الله -عزّ وجلّ- فيها في وصف الكتاب: {هُدًى لِّلنَّاسِ}[1] فإذًا الكتاب هو {هُدًى لِّلنَّاسِ} لكن عندما اسْتُفْتِحَتِ السّورة قيل إنّ الكتاب {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} وليس {هُدًى} لكلّ النّاس.

طيّب هو {هُدًى} لكلّ النّاس أم {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} فقط؟ فهناك {لِّلنَّاسِ} وهناك {لِّلْمُتَّقِينَ} فإذًا هل هو {لِّلنَّاسِ} أم {لِّلْمُتَّقِينَ}؟

سيجيبكم على هذا السّؤال الشّيخ السّعدي عندما تقرؤون تفسيره: ماذا سيكون السّؤال؟ هل هو {هُدًى لِّلنَّاسِ} عامّة أم {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} خاصّة؟

هذه طبعًا فائدة أنّك ستدرسين التّفصيل، فإنّه عندما تأتيك إشكالات فإنّ التّفصيل يردّ عليك مباشرة.

فإذًا من هذه النّقطة سنبدأ نفهم كلّ الباقي الّذي يتعلّق بالآيات، يعني ابتداء من الآية (٢) إلى الآية (٢٠) سيكون الكلام متعلّقا ببعضه.

لمّا أُشير إلى الكتاب {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ} كأنّه يُقال لنا: هذا الكتاب على مكانته لكن ليس كلّ النّاس يهتدون به! إذًا من يهتدي به؟ المتّقون.

الخبر عن القسم الثّاني: الكافرون: الآية (٦) والآية (٧)

١- الكتاب لا يهتدي به الكافرون:

انتقلي الآن إلى قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)}

سيأتي الكلام في الآية (٦) والآية (٧) عن الكافرين، فإذًا علّقي هذا المعنى بالكتاب:

- الكتاب يهتدي به المتّقون.

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

- الكتاب لا يهتدي به الكافرون؛ لأجل هذا فإنّ الله ختم {عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} لأنّهم لم يهتدوا به فكان الجزاء أن: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ}.

الخبر عن القسم الثّالث: المنافقون: من الآية (٨) إلى الآية (١٥)

١– الكتاب يُظهر أنّ المنافقين قد اهتدوا به ويبطنون الكفر به:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)}.

أخبريني الآن في الآية (٨) والمبتدأ في الكلام {الْكِتَابُ} وأنتم أخبروني ما هو الخبر؟

{الْكِتَابُ} يُظهر المنافقون أنّهم قد اهتدوا به، ويبطنون الكفر به!

هل ترين الآية (٨) مثل الآية (٦)؟ لا! ليستا مثل بعضهم وإن كانت النّتيجة واحدة، ففي النّهاية كلّهم يُعتبرون كفّارًا!

قاعدة التّفكير في مبتدأ الكلام

تساعد في الحفظ وفي ربط الآيات ببعضها وتكوين مناسبة بينها

١– ما علاقة أقسام النّاس الثّلاثة بالكتاب؟

أ– اجعل الكتاب مبتدأ الكلام واستعمل معه لفظ الهداية:

لكن الآن فكّري في موقفهم من الكتاب! فنحن نريد مع الكتاب:

استعملي فعل (**اهتدى**):

- الصّنف الأوّل: الّذين هم أهل التّقوى، يهتدون بالكتاب.
- الصّنف الثّاني: لا يهتدون بالكتاب.
- الصّنف الثّالث: يظهرون الاهتداء بالكتاب ويبطنون خلاف ذلك.

ب- اجعل الكتاب مبتدأ الكلام واستعمل معه لفظ الإيمان:

استعملي كلمة (**الإيمان**): ما علاقتهم بالكتاب؟

- الصّنف الأوّل: يؤمنون بالكتاب.
- الصّنف الثّاني: لا يؤمنون بالكتاب، يكفرون بالكتاب.
- الصّنف الثّالث: يظهرون الإيمان بالكتاب ويبطنون الكفر به.

فأنت مبتدؤك في الكلام: (**الكتاب**) ثمّ عندك (**الهداية**) وعندك (**الإيمان**)، هما كلمتان متبادلتان:

- يهتدون بالكتاب، لا يهتدون بالكتاب، يظهرون الاهتداء بالكتاب ويبطنون خلاف ذلك.
- يؤمنون، لا يؤمنون، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر.

فكلا المعنيين صحيح.

٢- التّفكير في مبتدأ الكلام يساعد في الحفظ:

من لطائف التّدبّر (٢)

لكي تأتيكم المناسبات صحيحة دائمًا فكّروا في المبتدأ -مبتدأ الكلام- ثمّ بعد ذلك بقيّة الأشياء تصير بمثابة الخبر.

لكن المشكلة أنّه في غالب الدّراسة لا يكون لنا علاقة بهذا المبتدأ وإنّما مباشرة هناك خبر! وهذا هو الّذي يشتّتنا في الحفظ، وفي ربط الآيات ببعضها وتكوين مناسبة بينها.

لابدّ أن يكون هناك مبتدأ ثمّ تأتي الآيات تخبر عنه، فإذَا ما انتهيت تأتي الآيات تخبر عن الثّاني، فإذَا ما انتهيت تأتي الآيات تخبر عن الثّالث، وهكذا...فأنت الآن عندما تأتين إلى حفظ سورة البقرة فإنّك بكلّ سهولة {الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ} فهذا مدح الكتاب.

بعد ذلك تقولين: أصناف النّاس مع الكتاب، سواء قلت أصناف النّاس في الاهتداء بالكتاب أو أصناف النّاس في الإيمان به لأنّهما كلمتان متبادلتان.

أ- تطبيق قاعدة التّفكير في مبتدأ الكلام على حفظ مقدّمة السّورة:

حسنا، ابدئي الآن بأوّل صنف: الآن أنت قلت: {الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ} ثمّ بعد ذلك ابدئي بالصّنف الأوّل واقرئي بالآيات إلى أن تصفي هذا الصّنف كلّه: {لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)}.

فإذَا ما انتهيت منه تأتي للصّنف الثّاني:

أنت في فهمك ماذا ستقولين؟ {الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ}.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ} بالكتاب {أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} في مقابل: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ}.

ب- تطبيق كيفيّة استعمال الكلمات المتكرّرة عند التّفكير في مبتدأ الكلام:

من الكلمات المتكرّرة في الثّلاثة أصناف كلمة: (**الإيمان**) دعونا نلاحظها:

انظري الآية (٣): {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}.

الصّنف الأوّل المنتفع بالكتاب، أوّل صفة عنده: {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}.

نأتي إلى الصّنف الثّاني الّذي لم ينتفع بالكتاب في الآية (٦): {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} فإذًا هذا الصّنف الثّاني: {لَا يُؤْمِنُونَ}.

صفي الصّنف الثّالث من جهة إيمانه في الآية (٨)؟ {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}.

{يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} فإذًا الأوّل واضح {يُؤْمِنُونَ} والثّاني واضح أيضًا {لَا يُؤْمِنُونَ} أمّا الثّالث فدائمًا له وجهان يقولون: {آمَنّا} والله -عزّ وجلّ- حكم عليهم: {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}.

هكذا صار كلّ الكلام دائر حول الكتاب: الاهتداء به، الإيمان به.

بهذا لا يضيع منك أبدًا الارتباط، تنتهين من المؤمنين وعلاقتهم بالكتاب، ثمّ يأتيك الكافرين وعلاقتهم بالكتاب {لَا يُؤْمِنُونَ} تنتهين منهم ويأتيك الّذي أظهر أنّه مؤمن والله حكم عليه أنّه غير مؤمن، وهكذا انتهت المقدّمة.

ملاحظة الحكم على الأصناف الثّلاثة

١- ملاحظة الألفاظ تساعدك على تمييز الحكم على مسارهم من الجزاء:

أ- الصّنف الأوّل حُكم على مَسلكه أنّه طريق الهداية وحُكم على الصّنف أنّه مفلح:

سنلاحظ أنّه عندما انتهى الصّنف الأوّل فإنّه قد حُكم عليه بماذا؟ {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} انتهينا هكذا من الصّنف الأوّل والحكم عليه.

دعونا نرى الصّنف الثّاني: هل حُكم عليهم أم ذُكر العذاب الّذي وقع عليهم؟

لكي تتصوّروا هذا دعونا نأتي بالألفاظ يكون أحسن وأسهل، الآن: {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ} حُكم على مَسارهم، على مَسلكهم، وليس جزاؤهم؛ لأنّ نقطة النّزاع أن تجد كلّ واحد يقول لك: (تعال فإنّ الهداية عندي! طريقي هو الّذي يوصلك للهداية)! يعني وهم مسلمون كلّ واحد منهم يتنازع طريق الهداية! أنت ليس لك إلّا ما قاله الله وقاله رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

فالله -عزّ وجلّ- يقول: هؤلاء الّذين يفعلون هذه الأفعال {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}.

من لطائف التّدبّر (٣)

انظروا إلى هذه الكلمة سواء {أُولَٰئِكَ} أو {هُمُ} كلّ هذه إنّما هي إشارة إلى الاختصاص، يعني {أُولَٰئِكَ} خاصّة {هُمُ الْمُفْلِحُونَ} خاصّة، فإذا كان {هُمُ} خاصّة فإذًا غيرهم لن تكون لهم هذه الصّفة.

فإذًا حُكم على طريق الّذي سار على هذا الطّريق بأن آمن بالغيب، وأقام الصّلاة، إلخ...بأنّه سلك طريق الهداية، وحُكم عليه أنّه مفلح.

ولكي أُقرّب لكم المسألة انظري الآية (١٦) يقول الله عزّ وجلّ: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}.

انظري في التّركيب فإنّها ستشبه الآية (٥) في ماذا؟ {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. الآية (٥) فيها {أُولَٰئِكَ} والآية (١٦) فيها {أُولَٰئِكَ}، الحكم على الطّريق وليس على الجزاء.

الآية (١٦) الحكم على مَن؟ الحكم على الكفّار الّذين في الآية (٦) والمنافقين الّذين في الآية (٨) لأنّهم في النّهاية سيصبحون شيئًا واحدًا، صحيح هؤلاء كفروا وأظهروا الكفر، وصحيح أنّه في الظّاهر لهما شكلان مختلفان لكن هم في النّهاية في حكم الله يعتبرون شيئًا واحدًا!

فإذًا حُكم على طريق الصّنفين حكمًا واحدًا، ما هو؟ {اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ} انظري كيف أتتك كلمة (**الهدى**) مرّة أخرى ثمّ حُكم عليهم: {فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} مرّة أخرى جاءت كلمة الهداية، معناها: أنّ هذا المقطع دائر كلّه حول (**الهداية**)، يعني صار هناك ارتباط واضح بين (**الهداية**) و (**الإيمان**).

ملخّص الكلام السّابق وتدوينه

السّورة ابتدأت بالثّناء على الكتاب، وأقسام النّاس تجاه الكتاب.

١– ماذا ستقولين عن مطلع السّورة؟

أ– الجزء الأوّل: الثّناء على القرآن.

ب– الجزء الثّاني: أقسام النّاس في الاهتداء به.

- وأقسام النّاس في الاهتداء به، مثلها بالضّبط أقسام النّاس في الإيمان به لأنّ هذه هي الكلمتان اللّتان دارتا في المقطع: (**الإيمان**) و (**الهداية**).

٢– ما هي أقسام النّاس في الإيمان بالكتاب والاهتداء به؟

القسم الأوّل: المتّقون: من الآية (٢) إلى الآية (٥).

القسم الثّاني: الكافرون: من الآية (٦) إلى الآية (٧).

القسم الثّالث: المنافقون: من الآية (٨) إلى الآية (١٥).

تفاصيل الأخبار عن أقسام النّاس الثّلاثة على حسب إيمانهم بالكتاب واهتدائهم به

١– ما هي تفاصيل الأخبار عن القسم الأوّل أهل التّقوى في مطلع السّورة؟

دعونا نرى تفاصيل الأخبار عن أهل التّقوى: المتّقين الّذي هو القسم الأوّل:

أ– اسم الصّنف الأوّل: سمّاهم الله –عزّ وجلّ– المتّقين.

أوّلًا: جاء اسمهم الّذي هو: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}.

ب– وصف الصّنف الأوّل: وصفهم الله من جهة عقيدتهم ومن جهة أعمالهم.

هناك صفات في الآيات تخبر

- عن إيمانهم.
- وهناك صفات تخبر عن أعمالهم.

ما هي الصّفات الّتي تخبر عن إيمانهم؟

بالإجمال:

- {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}.

وبالتّفصيل:

- {يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}.
- {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}.

والأعمال؟

- {يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}.
- {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}.

ما الّذي وصف أكثر، وصفهم من جهة عقيدتهم أم عملهم؟

- أوّلًا: {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} هذا الاسم العامّ.

ثمّ بعد ذلك الإيمان بالتّفصيل:

- {يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}.
- {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}.

ج- في وصف الصّنف الأوّل من جهة عقيدتهم: وصفهم الله إجمالًا أنّهم مؤمنون بالغيب وذَكر في الإيمان بالغيب مسألتين تفصيليّتين هما الإيمان بما أُنزل إلى الرسول ومن قبله والإيمان بالآخرة.

إذًا الله -عزّ وجلّ- وصفهم بالإجمال أنّهم مؤمنون بالغيب، وذَكر في الإيمان بالغيب مسألتين تفصيليّتين:

المسألة الأولى: {يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}.

المسألة الثّانية: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}.

د- في وصف الصّنف الأوّل من جهة أعمالهم: ذَكر الله مسألتين في الأعمال هما الصّلاة والإنفاق.

وفي الأعمال ذَكر في شأنهم عملين:

العمل الأوّل: الصّلاة.

العمل الثّاني: الإنفاق.

٢- ما هي المناسبة بين مطلع السّورة وخاتمة السّورة في ذكر تفاصيل الأخبار عن القسم الأوّل؟

أ- ابتدأت السّورة بالخبر عن المنتفعين بالكتاب وانتهت أيضًا بالخبر عنهم:

هنا مناسبة مهمّة تجعلنا نذهب إلى خاتمة السّورة:

وقبل أن ننتقل إلى خاتمة السّورة ونرى كيف تفهمينها عندما تصلين إلى آخر السّورة، أقول:

الكتاب سبب لاهتداء النّاس لو كانوا متّقين، ولكي نعرف التّقوى فإنّ هناك مؤشّرات للتّقوى، ما هو المؤشّر على التّقوى؟

المؤشّر الأوّل: **عقيدة في القلب.**

المؤشّر الثّاني: **عمل في الجوارح.**

العقيدة الّتي في القلب هي عقيدة الإيمان إجمالًا: الإيمان بالغيب.

في مطلع السّورة ذُكر أمرين مهمّين في هذه العقيدة، لكن في خاتمة السّورة أتى الشّأن التّفصيلي.

دعونا نذهب إلى خاتمة السّورة وهي أكيد محفوظة عندكم ومشهورة:

آخر السّورة هو قوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)}[1].

ب- في بداية السّورة وُصفوا بأنّهم مؤمنون بالغيب إجمالًا وفي نهاية السّورة وُصفوا بشيء من التّفصيل:

بنفس الطّريقة الّتي قسّمنا لهم أعمالهم في البداية دعونا نقسّم لهم أعمالهم في النّهاية:

{آمَنَ الرَّسُولُ} بماذا؟ {بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ} أيضًا "آمنوا"، {كُلٌّ} ماذا فعلوا؟ هذا التّفصيل الآن {آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} وفي عقيدتنا في الرّسل خاصّة: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} {وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} إذًا آمنوا باليوم الآخر.

فإذًا ذُكرت الخمسة أركان الّتي هي الإيمان {بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} وباليوم الآخر الّذي أتى في قوله: {وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} يعني لو تريدين أن تفسّري قوله تعالى في أوّل السّورة: {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}

(١) سورة البقرة: ٢٨٥_٢٨٦.

ستفسّرينها بآخر السّورة: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ...} إلى آخر الآية، هكذا انتهينا من الإيمان.

ج- في بداية السّورة وُصفوا بأنّهم يقومون بأعمال وفي نهاية السّورة وُصفوا بأنّهم يشعرون بالتّقصير فيكون منهم الدّعاء:

{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الكلام عن الأعمال، يعني الّذي أُشير إليها في البداية {يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} بقيّة الأعمال كلّها تحت هذه القاعدة: أن كلّ التّكاليف الّتي أُمر بها الخلق {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}.

- إذًا ابتدأت السّورة بالخبر عن المنتفعين بالكتاب، وانتهت أيضًا بالخبر عن المنتفعين بالكتاب.
- في بداية السّورة وُصفوا بأنّهم مؤمنون بالغيب إجمالًا، وفي نهاية السّورة وُصفوا بشيء من التّفصيل.
- في بداية السّورة قيل: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} وفي نهاية السّورة قيل: إنّ من قوّة إيمانهم قالوا: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} يعني منفعلين مع الإيمان باليوم الآخر.
- في بداية السّورة قيل عنهم إنّهم: {يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} وفي نهاية السورة قيل: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} ثمّ يقولون: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} يعني يقومون بأعمال ثمّ بعد ذلك يقولون: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا} معناها: أنّهم يقومون بأعمال ويشعرون بالتّقصير فيكون هذا دعاؤهم.

د- وصف أهل التّقوى بين مطلع السّورة وبين خاتمتها: أنّ لهم باطن صالح وظاهر صالح:

فإذًا إذَا أردت أن تصفي أهل التّقوى باختصار من مطلع سورة البقرة ومن نهاية سورة البقرة، تقولين:

لهم عقيدة وعمل، يعني لهم باطن صالح وظاهر صالح.

يعني لا عذر لأحد يقول لك: (أنا أعتقد أنّ الإيمان في القلب، ولا داعي لإظهاره، وحتّى لو لم أظهره فلا زال محكومًا عليّ بالإيمان)! نقول: من أوّل سورة البقرة وختام سورة البقرة، الله وصف أهل التّقوى بأنّهم يجمعون بين عقيدة وعمل.

سنرجع مرّة أخرى لأوّل السّورة ونقول: وصفهم الله -عزّ وجلّ- بالعقيدة والعمل.

فإذًا انتهينا من المتّقين: سمّاهم الله ووصفهم الله. فهذا هو الصّنف الأوّل.

٣- ما هي تفاصيل الأخبار عن القسم الثّاني الكفّار في مطلع السّورة؟

أ- اسم الصّنف الثّاني: سمّاهم الله -عزّ وجلّ- الكفّار.

صِف الصّنف الثّاني:

مَن الصّنف الثّاني؟ الكفّار.

الله -عزّ وجلّ- سمّاهم: {الّذِينَ كَفَرُوا}.

لابدّ أن تهتمّي بماذا سمّاهم الله، حتّى إذَا ما جاء أحدهم يقول لك: (أصلًا لا يوجد كفّار) نقول له: (لا! إنّ ربّنا في القرآن قال: {إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا} فهؤلاء شيء موجود وليس شيئًا خياليّا).

من لطائف التّدبر (٤)

كلّ أحد سمّاه الله لابدّ أن تهتمّي باسمه إن كان مدحًا أو ذمًّا، وتعرفين صفاته، فإذًا هناك اسم وهناك صفة.

ب- وصف الصّنف الثّاني: وصفهم الله بأنّ النّذارة لا تنفعهم.

{إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا} سمّاهم الله كفّارًا، ما هي صفتهم هنا؟ {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}. {لَا يُؤْمِنُونَ} فهل يعني ذلك أنّ هذه هي عقيدتنا في كلّ الكفّار؟ أنّه سواء أنذرناهم أم لم ننذرهم فلا فائدة! كيف ذلك؟ هل كلّ الكفّار؟ فإذًا على ذلك لا نقوم بالدّعوة إلّا للمسلمين؟! فهل نقوم بالدّعوة لغير المسلمين؟

الآن واقعيّا لو أنّ أحدهم قال لك: (تعالي في أحد الجاليات لأجل أن نقوم بالدّعوة لغير المسلمين) هل ستذهبين معهم أم لن تذهبي؟ نعم ستذهبين.

لكن عندما تسمعين هذه الآية ممكن أن تقولي: (لا! {إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}).

هل هذه الآية داخل فيها كلّ الكفّار؟ ليس كلّ الكفّار. إذًا من هم الكفّار؟

ليس هناك افتاء وإنّما هناك سؤال الشّيخ، تذهبين عند السّعدي وغيره من المفسّرين وتسألينهم؛ لأنّ المقصود أن تفكّري، ثمّ بعد ذلك تسألين أهل العلم.

فإذًا اتّفقنا المرّة القادمة ستجيبونني على سؤالين:

١. هل القرآن {هُدًى لِّلنَّاسِ} أم {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} فقط؟

٢. أكيد أنّ هذه الآية لا يُقصد منها أنّ هذا وصف لكلّ الكافرين، وإلّا ما قال تعالى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[١] وما كان النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يعرض نفسه على الكفّار، فأكيد هناك معنى هنا لابدّ أن تفهميه من خلال السّياق. فإذًا اسألوا أهل الذّكر لأنّ أيّ فتوى ستُحسب علينا.

فإذًا اتّفقنا على أنّ صفتهم هنا في هذه السّورة وفي هذه الآية: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} هل تنفعهم النّذارة؟ لا! إذًا صفتهم المذكورة هنا أنّ النّذارة لا تنفعهم.

ثمّ إنّنا سنعرف عندما نخرج بنتيجة من عند المفسّرين، لماذا لا تنفعهم النّذارة.

ج- جزاء الصّنف الثّاني: ذكر الله جزاءهم في الدّنيا وفي الآخرة عذاب عظيم.

الصّفة الثّانية: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ما هذا؟ هذا الجزاء.

هل أنت تفهمين: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} صفة أم جزاء؟ جزاء، إذًا معنى ذلك جاء اسمهم، وجاء وصفهم، وجاء جزاؤهم:

- اسمهم: كفّار.
- وصفهم: أنّ النّذارة لا تنفعهم.

جزاؤهم في الدّنيا والآخرة:

- جزاءهم في الدّنيا: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}.
- وفي الآخرة: {لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

---

(١) سورة النّحل: ١٢٥.

٤- ما هو جزاء الصّنف الأوّل المتّقين؟

أ- جزاء الصّنف الأوّل: ذكر الله جزاءهم بأنّه جزاء أهل الفلاح:

إذًا اسمهم، وصفهم وجزاؤهم:

- اسمهم: المتّقون.
- وصفهم من جهتين العقيدة والعمل.
- جزاؤهم؟ {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ} يعني حُكم على طريقتهم.
- {أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} يعني مادام حكم عليهم أنّهم مفلحون إذًا جزاؤهم جزاء أهل الفلاح.

٥- ما هي تفاصيل الأخبار عن القسم الثّالث في مطلع السّورة؟

أ- اسم الصّنف الثّالث: هناك معنى بلاغي نتناقش فيه عندما نتقدّم لماذا لم يسمّهم ربّ العالمين في مقابل أنّه سمّى المتّقين وسمّى الكافرين؟

تعالي نرى الآن الصّنف الثّالث: هل سمّاهم الله أم لم يسمّهم في هذه الآيات؟ لم يسمّهم وهذا شيء ملحوظ، فأنت تلحظين بأنّه ليس لهم اسم في هذا السّياق.

ب- الوصف الأوّل والثّاني للصّنف الثّالث: وصفهم الله بأنّهم يقولون بألسنتهم ما يوافق الإيمان ومقصدهم الخداع:

دعونا نرى مباشرة أوصافهم، هؤلاء متعبون حتّى أوصافهم متعبة! سنبدأ أوّلًا، ودعونا نستفيد من نفس الآيات:

فمن نفس الآيات ماذا ستقولين؟ {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} فإذًا:

الصّفة الأولى: الكلام بلسانهم كلامًا موافقًا للإيمان.

هم يقولون بلسانهم كلامًا موافقًا للإيمان، ماذا يريدون من وراء هذا الكلام؟ أنت عندما تقرئين: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} تفهمين أنّ مقصدهم من هذا الكلام: الخداع؛ إذًا ستقولين:

الصّفة الثّانية: يقولون بألسنتهم ما يوافق الإيمان ومقصدهم الخداع.

ج- نبتة النّفاق إن وجدت في نفس أيّ إنسان إلّا ويكون مبدؤها حبّ الدّنيا:

بذلك سنصل إلى مشكلة كبيرة جدّا! وهي أنّ الإنسان ممكن أن يتكلّم كلامًا بلسانه ويكون له مقصدًا غير الحقّ! يعني ممكن حتّى أنّ الكلام الّذي يُقال يكون طيّبًا! لذلك في نفس سورة البقرة سيأتي: {وَمِنَ النّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}[1] فإذًا معنى ذلك: أنّه عندما يقول لك كلامًا طيّبًا وواضحًا يوافق المنهج ويوافق الحقّ، فإنّه يريد أن يخدعك، يعني هم {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالّذِينَ آمَنُوا}.

بناء على هذا المعنى ما المقصود بـ {يُخَادِعُونَ}، لماذا يريد أن يخدعك؟

هو يُظهر أنّه يريد الآخرة: {يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} لاحظوا كيف أنّه يقول: {بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} خاصّة! فهو لم يقل: "آمنت بالملائكة والكتب والرّسل!" وإنّما قال: {آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} خاصّة! لأنّ مراده الدّنيا! هو يقول لك: "أنا آمنت بالله وباليوم الآخر" فيخدعك من أجل الدّنيا! ماذا ينقصه لكي يؤمن؟ أن يريد الآخرة! فهذا الّذي ينقصه لأجل أن يؤمن!

د- الصّنف الثّالث مضطرّ أن يخدعك ويظهر لك أنّه مؤمن ليأخذ من تحت يدك الدّنيا وممكن يضحّي بنفسه من أجل الغنيمة!

لماذا هو يخدعك؟ لماذا لم يكفر مثل الكفّار؟ لأنّ دنيته تحت يدك! دنيته عندك! فهو مضطرّ أن يظهر أنّه مؤمن لكي يأخذ من تحت يدك الدّنيا!

- ولذلك فإنّه لا يوجد نبتة نفاق في نفس أيّ إنسان إلّا ويكون مبدؤها حبّ الدّنيا! نبتة النّفاق نفسها لا تنشأ إلّا من حبّ الدّنيا! ولأجل هذا لاحظوا كيف أنّ الله -عزّ وجلّ- قال: {وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} انظروا: {وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} لم يقولوا فقط: {آمَنّا بِاللهِ} ولم يقولوا: "آمنّا بالله وملائكته ورسله!" وإنّما: {آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} يعني (نبتغي وجه الله! وأريد عندما ألاقي الله أن ينجّيني!) لكن هو يقول لك هكذا لكي يأخذ من تحت يدك الدّنيا! يبيّن لك بأنّه مشترك معك في حبّ الآخرة ويريد من هذا الإظهار أن يحصل على الدّنيا!

(١) سورة البقرة: ٢٠٤.

هذا مثل عندما تسمعين عنهم أنّهم يخرجون مع -النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم- يقاتلون! يعني ممكن أن يضحّي بحياته لأجل الغنيمة! فلا يهمّه! يقاتل مع الشّيطان لكن المهمّ عنده أن يصل في النّهاية إلى الغنيمة.

لأجل هذا فإنّ منبت النّفاق هو: حبّ الدّنيا! ولأجل هذا فإنّ النّاس اليوم يتلوّنون ألوانًا! وكلّ يوم مع الماشين! لأنّ سيره مع أهل الدّين أصلًا لم يكن تديّنًا! ولم يكن تفكيرًا في الآخرة!

وهنا يتبيّن

ذ- انقسام النّاس وقت الفتنة:

لمّا جاءت الفتنة وانقسم النّاس إلى أقسام! حينها:

- الّذي يريد الدّنيا يذهب مع الدّنيا!
- والّذي في الوسط مازال مهزوزًا فإنّه على حسب النّبتة الّتي في داخله!
- والّذي يريد الله -عزّ وجلّ- ثباته -نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يثبّتنا جميعًا- سيكون عنده قرار: أنّه يريد الآخرة، والّذي يريد الآخرة فهو لن يضحّي بالدّنيا!

فهم مساكين يفهمون الموضوع خطأ! يحسبون أنّ الّذي يريد الآخرة لابدّ أن يضحّي بالدّنيا! لا! وإنّما الّذي يريد الآخرة لابدّ أن يزرع في الدّنيا، لابدّ في كلّ خانة يستطيع فيها أن يزرع شيئًا للآخرة، فلابدّ من الدّنيا، ولا يمكن الاستغناء عن الدّنيا.

ر- النّفاق لا يظهر إلّا عندما يصير للتّديّن سلطة لأنّه عندها سيكون هو المستفيد!

لكن المهمّ الآن من هذا النّقاش أن نصل إلى الشّيء الخطير المهمّ:

{وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} لا بالله! ولا بلقاء الله! ولا معتنين بلقائه! إنّما {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالّذِينَ آمَنُوا} من أجل الدّنيا! وفي الحقيقة فإنّهم: {مَا يَخْدَعُونَ إِلّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}!

إذًا ما هي صفتهم؟ يدّعون بلسانهم الكلام الموافق للإيمان ومقصدهم الخداع لأجل الدّنيا! لأجل أن يحصلوا على الدّنيا من ورائك!

ولذلك لا يظهر النّفاق إلّا عندما يصير للتّديّن سلطة! فإنّ أوّل ما تأتي سلطة التّديّن يظهر لأنّه يريد أن يستفيد!

فمثلًا: الآن هو يريد أن يتزوّج، والّذي يريد أن يتزوّج عندهم أو عموما المجتمع لا يقبل إلّا المصلّي، فماذا يفعل أخونا هذا؟! –ما شاء الله– ينتظم من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء! باقي له قليلًا على أن يرابط في المسجد! من كثرة ما هو باقٍ حريص على هذا الشّأن! فإذَا ما تزوّج انتهى الموضوع! وظهر بالمظهر الّذي يريده! بما أنّه وصل للنّتيجة الّتي يريدها!

ز– المقياس: الاستمرار فالفتور من عادة الإنسان لكن التّرك هو الشّيء الخطير وهو الّذي يدلّ على نبتة النّفاق!

ما هو المقياس فممكن أن يكون ربّنا هداه؟ المقياس الاستمرار! فإن استمرّ بعد ذلك فالحمد لله.

ولذلك عندما يأتي للإنسان مصيبة فَيستقيم ويدعي ربّنا فإنّ هذا من الطّبيعي أن يفعل هذا الشّيء.

لكن متى يكون ضعفًا للإيمان؟ إذا انقلب على وجهه، بعد تحصيل مراده.

ممكن أن تقول: (أنا فترت عن الفترة الّتي كنت فيها عند المُصاب) تفتر شيء وتترك شيء! فإنّ الفتور من عادة الإنسان لكن التّرك هو الشّيء الخطير! هو الّذي يدلّ على نبتة النّفاق!

على كلّ حال فإنّه لا يوجد شيء يأتي بالنّفاق أكثر من حبّ الدّنيا! ويصير الإنسان كلّ تفكيره أنّه يريد تحصيل المنافع في الدّنيا! هنا! هنا! فلا يفكّر في لقاء الله أبدا! كلّ الّذي يشغله هنا! وما هذه إلّا حياة البهائم! –أكرمنا الله عن هذه الحياة–

اللّهمّ اجعل الإيمان مستقرًّا في قلوبنا، ويُعلّي مقاصدنا ومرادنا، اللّهمّ آمين.

س– الوصف الثّالث للصّنف الثّالث: وصفهم الله بأنّ قلوبهم مريضة بحبّ الدّنيا والنّفاق:

فإذًا الآن وصفهم الله –عزّ وجلّ– بوصف جديد وهو: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} ما هو هذا المرض؟ هذا هو الوصف الثّالث لهم، ما هو المرض الّذي في قلوبهم؟ حبّ الدّنيا! هذا هو المرض الأساسي أو النّفاق! يعني حبّ الدّنيا! النّفاق! فهذه كلّها من الأمراض!

ش– الوصف الرّابع للصّنف الثّالث: وصفهم الله بأنّهم بسبب حبّهم للدّنيا يرون الفساد إصلاحا!

في الآية (١١) والآية (١٢) ما هي صفتهم؟ {يُخَادِعُونَ} أم هناك حالة أخرى؟ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢)} هم لا يشعرون الآن أنّهم مفسدون!

لكي تتصوّريهم: فإنّ بوصلتهم نفسها، بمعنى: اتّجاهاتهم في الاهتمام متّجهة نحو الدّنيا! فحتّى مشاريعهم وحتّى إصلاحهم كلّ تركيزهم فيه على الدّنيا! فكلّ فترة تجدهم يبتغون شهوات أكثر! يريدك ألّا تمنع نفسك عن أيّ شهوة: (أيّ شيء تشتهيه افعله)! فهم في هذا يظنّون أنّه هو الصّلاح! لأنّ بوصلتهم أصلًا متّجهة نحو الدّنيا! (فلا تحرم نفسك من شيء! لا تحرم نفسك من شيء! افعل كلّ الّذي تريده)! فهذا في أنفسهم هو الصّلاح!

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} (إنّما نحن نريد لكم الحرّيّة والتّقدّم)! ولا تدري إلى أين يتقدّمون؟! لكن المهمّ عندهم أنّهم يتقدّمون! (امشِ فقط وتقدّم)! حتّى لو إلى الهلاك فلا يهمّه! لأنّه يرى أنّ هذا هو الصّلاح! لأنّ الدّنيا هي الّتي تهمّه! لا تهمّه قِيمه! ولا يهمّه ضبط نفسه! ولا يهمّه التّرقّي إلى المعالي! وإنّما الّذي يهمّه الدّنيا! وبذلك فإنّه سيتساوى مع الحيوان! لأنّ البهائم تريد أن تعيش فقط!

ولذلك الله –عزّ وجلّ– يقول لهم في سورة الحجر: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}[1].

لكن هل يعني هذا بأن لا آكل ولا أشرب؟! لا! وإنّما هؤلاء يعيشون من أجل أن يأكلوا ويشربوا! فهم لا يأكلون ويشربون لكي تسمو روحهم! يعني لكي يَزِنُوا أنفسهم فإنّهم لا يَزِنُون روحهم بحيث تكون أعلى من جسدهم! وإنّما جسدهم هو المهمّ فتبقى الرّوح طوال الوقت خادمة للجسد! فالرّوح ليس لها قيمة المهمّ كل واشرب وتمتّع وافعل كلّ الّذي تبتغيه! وطبعا هذه الرّغبة لن تقف! لأنّك عندما تأكل وتأكل هذا الّذي تحبّه ستأتيك لحظة تصبح فيها لا تحبّه وتحبّ ما هو أعلى منه! وتحبّ ما هو أعلى منه! وتحبّ ما هو أعلى منه! فهي متتالية ولن تنتهي! ولن يأتي يوم تقول فيه: (يكفيني هذا فقد شبعت!) ليس هناك شبع!

وقد ورد في الحديث: (لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ)[1] مساكين الأطفال الصّغار يشعرون بأنّهم عندما يصير عمرهم في الأربعين سنة سيتوقّفون عن حبّ الدّنيا! لا! لن

(١) سورة الحجر: ٣.

يتوقّفوا عن حبّ الدّنيا! فهو لا يدري بأنّه عندما يكون إنسان قد ابتدأ بحبّ الدّنيا عندما يصل إلى الأربعين فإنّه سيصير على أشدّه في حبّ الدّنيا! أليس الإنسان عندما يبلغ الأربعين يصبح على أشدّه؟ يبلغ أشدّه على ما كان عليه فلو كان يحبّ الدّنيا قبل الأربعين سيبلغ في الأربعين أشدّه في حبّ الدّنيا! لأنّه يكبر ابن آدم وهذا يكبر معه، ولو كانت روحه هي مقصده سيكبر وحين يبلغ أشدّه، يبلغ أشدّه في تأديب نفسه وطلب ترقيتها فالأمر على ما تنشأ.

لكن هؤلاء كيف يفكّرون؟ لأنّ بوصلتهم متّجهة على الدّنيا فإنّه يرى أنّ صلاحه يكون بزيادة نَهَمه في الدّنيا {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ}.

فإذًا هذه هي

الصّفة الرّابعة: بسبب حبّهم للدّنيا يرون الفساد إصلاحًا!

ص– إنّ كثيرًا من الّذين يتكلّمون عن الإصلاح في العالم يعتقد أنّه هو مُصلح وأنت مثل العقبة في طريق التّقدّم وفي طريق الإصلاح!

ض– الوصف الخامس للصّنف الثّالث: وصفهم الله بأنّهم يرون كلّ مظاهر استقامة المؤمنين سفاهة!

نرى الصّفة التالية: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ}[٢] ما هي الصّفة الّتي فيهم؟ التّكبر {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} يرون النّاس سفهاء!

وهذا المعنى واضح جدّا في آخر سورة المؤمنون، سنبحث عن: كيف يرى المنافقون المؤمنين؟

قال تعالى:

{أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ

---

(١) أخرجه البخاريّ (٦٠٨٣).

(٢) سورة البقرة: ١٣.

فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}(١).

هذا الموقف يوم القيامة، فهم ماذا يريدون الآن؟ يريدون أن يرجعوا إلى الدّنيا! فيقول الله –عزّ وجلّ– لهم: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} يعني همّهم الإيمان، وهمّهم لقاء ربّ العالمين، مؤمنين لكن خائفين ويطلبون المغفرة من ربّ العالمين، فماذا فعلوا فيهم؟ {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} هذه الآية هي تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} فماذا فعل هذا الفريق المنافق والكافر؟ {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا} سخروا منهم! يعني من الطّبيعي جدًّا أن تكون مؤمنًا تقيًّا ويأتي أحدهم يضحك عليك، فإنّ هذا مؤشّر طبيعي لأنّ هناك منافقين يرون المؤمنين سفهاء! يقولون: تضيّع وقتك من الصّباح تذهب إلى القرآن وتفعل كذا وكذا (ابقَ نائمًا)! وعلى ذلك كلّما مشيت تجد تفسير الآية في الواقع {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي} يعني صار المنافقون لا يفكّرون في أنفسهم وطوال الوقت يضحكون على هذا! ويضحكون على هذا! وهذا يستهزؤون به! وهذا يخرّجون نكتة عليه! ويرسمون هذا بطريقة يقلّلون من قيمته! {وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} فهم يرونهم سفهاء! لكن يوم القيامة يأتي هذا العرض الواضح، أن ترى المؤمنين سائرين على الصّراط المستقيم والمنافقين يستهزؤون بهم ثمّ يُعاد للمؤمنين حقّهم حتّى المعنوي في كون هؤلاء كانوا يستهزؤون بهم.

فهل رأيتم كيف أنّ تفسير الآية (١٣) في آخر سورة المؤمنون أنّهم يرونهم سفهاء! يعني يرون كلّ مظاهر الاستقامة ابتداء بالحجاب! وانتهاء بالإنفاق وطلب العلم، فكلّها يرونها سفاهة!

ع– الوصف السّادس للصّنف الثّالث: وصفهم الله بأنّ وَلاَؤُهُمْ للكافرين!

نأتي الآن إلى الآية (١٤) والآية (١٥) فهذه هي الصّفة الأخيرة:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)}.

(١) سورة المؤمنون: ١٠٥_١١٠.

الصّفة الأخيرة مهمّة جدّا وتُفهّمك لماذا جاء وصف الكفّار والمنافقين معًا في الآية (١٤) والآية (١٥) ما هي صفات أهل النّفاق؟ {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنّا} هذا إكمال لمظهرهم! ثمّ بعد ذلك؟ {وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ} {شَيَاطِينِهِمْ} من تعتبرينهم؟ هم الكفّار {خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ} معناها أنّ هناك صلة بين المنافقين والكفّار! لهذا فإنّ في مجتمعنا توجد خليّة من المملكة لها علاقات خارجيّة {إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ} مع الكفّار {قَالُوا إِنّا مَعَكُمْ} صحيح نحن نعيش مع المسلمين لكن نحن بهم {مُسْتَهْزِئُونَ} ننقّد الخطط والأجندة! يعني منقّذون لأجندة الكافرين! الكافرون يضعون لهم خطّة وهم يأتون لأنّهم من أبناء جلدتنا ويتكلّمون بلغتنا ويعرفون أين مداخلنا! فيكونوا هم بمثابة المنقّذين! ولذلك: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنّا} فهذا هو وجههم مع المؤمنين! ثمّ بعد ذلك إذَا ما سافروا إليهم أو اتّصلوا بهم أو كلّموهم: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} والله –عزّ وجلّ– يقول: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} ويمكرون! ويمكرون! ويمكرون! ويتعبون! ويتعبون! {وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[١] يردّ مكرهم عليهم.

الآن فهمت كيف أنّ الكفّار والمنافقين متّصلين في نقطة!

إذًا المنافقون وَلاَؤُهُمْ للكافرين!

بعد ذلك حكم الله عليهم: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}[٢].

سيأتينا بعد ذلك مثلين للكفّار والمنافقين:

{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}[٣] {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ}[٤].

هذان المثلان ستدرسونهما، ثمّ نتناقش فيهما اللّقاء القادم.

التّذكير بالواجب العملي

السّؤال الأوّل: هل القرآن هداية لكلّ النّاس أم للمتّقين؟

(١) سورة الأنفال: ٣٠.
(٢) سورة البقرة: ١٦.
(٣) سورة البقرة: ١٧.
(٤) سورة البقرة: ١٩.

السّؤال الثّاني: هل النّذارة لا تنفع الكفّار أبدًا؟

الواجب الثّالث: مناقشة المثلين:

إنجاز جدول فيه المثل والمراحل الثّلاثة.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء الثّاني: الخميس ١٠ المحرّم ١٤٤٠ هـ

"دراسة الجزء الأوّل من المقطع الأوّل (٢١-٢٥)"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبا مُباركًا ونسأله بمنّه أن يجعلنا من أهل القرآن أهله وخاصّته، اللّهمّ آمين.

واليوم يزيد الفضل علينا ونحن مجتمعون حول سورة البقرة في هذا اليوم المبارك -يوم عاشوراء- حيث الأعمال تضاعف على وجه العموم في الأوقات المحرّمة، ففي الأشهر الحرم، كما أنّ السّيّئات تعظّم فإنّ السّيّئات تضاعف، وحين يزيد على ذلك ويكون يومًا معظّمًا عند الله فإنّ كلّ حسنة فيه تكون مضاعفة أكثر، فأسأل الله -عزّ وجلّ- وأرجو منه -سبحانه وتعالى- أن يقبلنا، نسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل الدّراسة في هذه السّاعة ممّا يرفع درجاتنا ويكفّر سيّئاتنا، اللّهمّ آمين.

مراجعة ما قيل في اللّقاء الأوّل:

كنّا بدأنا الحمد لله في مناقشة "**كيف تكون السّورة مجتمعة في ذهنك حين تحفظينها**" وتعرفين أنّ الآيات من هنا إلى هنا هذا مقصدها، والآيات من هنا إلى هنا هذا مقصدها.

واتّفقنا بأنّ السّورة فيها مقدّمة وخاتمة و٤ مقاصد:

المقدّمة: من الآية (١) إلى الآية (٢٠).

- **مضمون المقدّمة:** الثّناء على كتاب الله وأقسام النّاس في الاهتداء به.

إلى كم قسم ينقسم النّاس؟ إلى ٣ أقسام.

كم طريقة؟ طريقتين:

الصّنف الأوّل: {أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(١).

الصّنف الثّاني: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}(١).

(١) سورة البقرة: ٥.

فإذًا انقسموا في الأصل مع الهداية إلى صنفين، الصّنف الأوّل: {عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ} يعني أولئك الّذين اهتدوا، فالصّنف الأوّل مع الكتاب: مهتدين.

والصّنف الثّاني مع الكتاب: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ} يعني من الآية: ضالّين.

فإذًا مهتدين وضالّين.

ثمّ الضّالّين انقسموا إلى صنفين: الكفّار والمنافقين، لكن دعونا نبقى ملتزمين بالنّصّ، ستقولين: الكفّار لأنّ الله –عزّ وجلّ– قال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}(٢).

والصّنف الثّاني: هم الّذين ادّعوا الإيمان لأنّه مازالت لم تأتِ كلمة "المنافقين" بعد، هنا الله –عزّ وجلّ– قال عنهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}(٣) فلا تنسي: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} يعني هم ادّعوا الإيمان {بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} ثمّ بعد ذلك: {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}.

لماذا ادّعوا؟ {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} وفي الحقيقة: {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}(٤) إذًا هم لا يشعرون أنّهم: {مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ}.

الإجابة عن سؤال الواجب العمليّ الأوّل: هل النّذارة لا تنفع الّذين كفروا أبدًا؟

الله –عزّ وجلّ– عندما وصفهم قال فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(٥).

هل النّذارة لا تنفع الّذين كفروا وعلى ذلك لا نفتح مكتب جاليات ولا ندعو النّاس؟ الجواب: لا!

فإذًا كيف تفهمين الآية؟ هل كلّ الكفّار هذه صفتهم؟ لا!

الكفّار كفرا أصليّا –الّذين ولدوا في بلاد الكفّار– عندما يُعرض عليهم الحقّ فإنّهم ينقسمون إلى قسمين:

قسم أوّل: فتح عينيه فوجد نفسه في بلاد الكافرين، وأهله كافرون، وبقايا الفطرة السّوية موجودة في نفسه، وعنده أسئلة ويبحث عن الحقّ فأوّل ما يجده سيقبله، إذَا كان يبحث صادقًا عن الحقّ؛ لأنّ الله –عزّ وجلّ– من سنّته مع الخلق أن يُعرض عليهم الحقّ بطرق لا يستطيع الإنسان إدراكها!

---

(١) سورة البقرة: ١٦.
(٢) سورة البقرة: ٦.
(٣) سورة البقرة: ٨.
(٤) سورة البقرة: ٩.
(٥) سورة البقرة: ٦_٧.

قسم ثانٍ: يُجادل، ويتعصّب، ويُعرض.

ما الّذي يدلّك على هذا المعنى في الآية {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}؟

{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} الخبر من الله بأنّ الّذين كفروا لا تتعب نفسك معهم لأنّ نذارتهم أو عدم نذارتهم سواء، لكن هناك: {إِنَّ} للتّوكيد و {الَّذِينَ} اسم الموصول، فما دلالة هاتان الكلمتان؟

من لطائف التّدبّر (١)

الاسم الموصول {الّذِينَ} يدلّ على أنّها صفة لازمة لهم، فإنّ اسم الموصول يأتي للتّعريف، يعني هؤلاء هذه الصّفة لهم.

عُرض عليهم وعُرض عليهم وهم ردّوه! وردّوه! فهؤلاء الّذين ردّوه وردّوه ووصلوا بالعناد حدّه! فإنّ النّذارة وعدم النّذارة لهم{سَوَاءٌ} في حقهم، فإذًا هذا ليس وصفًا لكلّ الكفّار وإنّما مثلما ذكر الشّيخ السّعدي بالضّبط: (اتّصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصار وصفا لهم لازمًا)[١] يعني لا يفكّرون في الإيمان أبدًا! والتزموا أمرهم وصاروا يعاندون! يعني أصلًا لا يسمعك!

وأنت تجدين هذه الصّفة في الحياة، فأحيانًا يفسد رأي الإنسان فلمّا يأخذ رأيًا ويتبنّاه، مهما كلّمته لكي يعدّل حاله، كأنّه لا يسمعك!

فمعنى هذا أنّ النّاس ينقسمون حتّى في كفرهم إلى قسمين:

- قسم انصبغ بالكفر فأصبح صفة لازمة لهم، وانصبغوا بالكفر بسبب عنادهم!
- وقوم آخرين لازالوا يفكّرون في الحقّ.

والّذي يفكّر في الحقّ هذا فيه أمل، لكن الّذين كأنّهم لا يسمعونك! قال الله –عزّ وجلّ– عنهم في سورة فصّلت: {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ}[٢] فهذا النّوع هو الّذي {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}

(١) تيسير الكريم الرّحمن _ عبد الرّحمن السّعدي _ تفسير الآية (٦) سورة البقرة.

(٢) سورة فصّلت: ٤_٥.

فقد وضع لك كلّ الحواجز: (فأنا أصلا لا أسمعك! وقلبي في أكنّة لا أفهمك!) وهؤلاء في النّهاية عُبّر عنهم بقوله تعالى: {الّذِينَ كَفَرُوا} لم يقل: "الكفّار" وإنّما: {الّذِينَ كَفَرُوا}، {إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا} يعني ثبت عليهم وصف الكفر، أصبح وصفًا مثلما قال الشّيخ: (اتّصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصار وصفًا لهم لازمًا) أي أنهم عُرض عليهم الإيمان وعُرض إلى أن وصلوا إلى هذه النّتيجة.

الآن صِفي هؤلاء الّذين ليس فيهم أمل، كما قال الله -عزّ وجلّ- في سورة البقرة:

{إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} هذا إذًا وصفهم، والحكم عليهم: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. هكذا انتهينا منهم.

الإجابة عن سؤال الواجب العملي الثّاني: هل الهداية للنّاس أم للمتّقين؟

الشّيخ قد أجاب على هذا السّؤال بالتّفصيل، ما هو ملخّص الجواب {هُدًى لِّلنَّاسِ}[١] أم {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[٢]؟

أوّلًا: القرآن بنفسه هدى لجميع الخلق، فأنت عندما تقولين: {هُدًى لِّلنَّاسِ} يعني تصفين القرآن نفسه فتقولين: (القرآن بنفسه هدى لجميع الخلق)، ثمّ انقسم النّاس إلى قسمين: أشقياء وأتقياء.

- (فالأشقياء لم يرفعوا به رأسًا. ولم يقبلوا هدى الله فقامت عليهم به الحجة) يعني القرآن فقط لقيام الحجّة عليهم (ولم ينتفعوا به لشقائهم).
- (وأمّا المتّقون الّذين أتوا بالسّبب الأكبر، لحصول الهداية، وهو التّقوى) المتّقون أتوا بالسّبب الأكبر لحصول النّفع وهو: **التّقوى**. (التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع)[٣].

فإذًا القرآن:

{هُدًى لِّلنَّاسِ} هذا وصف للقرآن يعني أنّه في نفسه هدى لجميع النّاس.

{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} أي: المنتفعون به هم المتّقون؛ لأنّ النّاس أمام القرآن انقسموا إلى قسمين: أشقياء وأتقياء.

فإذًا مرّة تصفين القرآن ومرّة تصفين المنتفعين بالقرآن؛ فهذا هو الأصل في كلام الشّيخ السّعدي، وهذا الكلام إنّما هو موجود في التّفسير.

وأيضا لو قلت:

- {هُدًى لِّلنَّاسِ} فكأنّك تقولين: القرآن فيه هداية الدّلالة والإرشاد، وفيه هداية التّوفيق تكون من الله، يعني القرآن يخبرك أنّ هداية التّوفيق من الله.
- {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} سيكون مَن الّذين حلّ عليهم التّوفيق؟ المتّقون الّذين جمعوا بين هداية الدّلالة والإرشاد وحصل لهم هداية التّوفيق من ربّ العالمين فقاموا بالعمل.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة: ٢.

(٣) تيسير الكريم الرّحمن _ عبد الرّحمن السّعدي _ تفسير الآية (٢) سورة البقرة.

الآن سنصف هؤلاء النّاس الّذين ادّعوا الإيمان:

أوصاف الصّنف الّذي ادّعى الإيمان:

ما هي حقيقة فعلهم؟

مدارسة الآية (٨) والآية (٩) من سورة البقرة

بماذا وُصف الصّنف الثّالث في الآية (٨) والآية (٩)؟

وُصف بالخداع:

من لطائف التّدبّر (٢)

بدأ وصفهم بقوله تعالى: {وَمِنَ النّاسِ} هذه {وَ} تعطف هذا الصّنف على {الّذِينَ كَفَرُوا} أنّهم انقسموا إلى قسمين لأجل هذه {وَ} الّتي تجمع بين هذا صنف المنافقين المدّعين للإيمان مع {الّذِينَ كَفَرُوا}.

ماذا قال الله –عزّ وجلّ– في وصفهم في أوّل الآية: {وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} هم الآن هذه دعواهم: {وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ}.

ثمّ بعد ذلك {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} إذًا هذا حكم الله عليهم.

ما هي حقيقة فعلهم الآن؟

من أهداف وفوائد الدّراسة الإجماليّة (١)

افتحوا أوراقكم وكلّما وضعنا عنوانًا لآية ضعوه على الآية نفسها، يعني عندما قلت: "الواو" أفادتك في ماذا، على نفس الآية اكتبي: "في جمع هذا الصّنف مع الصّنف السّابق"؛ لأجل ذلك فإنّهم كلّهم قيل عنهم في النّهاية: {أُولَئِكَ}.

{وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ} يعني دعواهم تقول: {آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} ولا بدّ أن تنتبهي لهذه الصّفة أنّهم قالوا: {آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} يعني لم يختاروا أيّ شيء آخر! قالوا: {آمَنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} ونحن في المرّة الماضية جاءت مناقشة حولها وسنؤكّدها الآن.

ما هو الحكم عليهم؟ {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} يعني الله حكم عليهم بأنّهم: {مَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}.

فعلى {مَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} ماذا ستضعين؟ الحكم، ستعتبرينه هو الحكم.

ثمّ بعد ذلك سمعت العلّة لادّعائهم، يعني ما العلّة لدعواهم؟ {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالّذِينَ آمَنُوا} إذًا هذه العلّة، لماذا ادّعوا الإيمان بالله واليوم الآخر؟ {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالّذِينَ آمَنُوا}. ما غايتهم من ذلك؟ إلى أين يريدون

أن يصلوا؟ إلى الدّنيا! هذا الخداع وسيلتهم للدّنيا لأنّهم لا يخادعون بإظهار الإيمان إلّا القوم الّذين معهم إيمان ومصلحتهم عندهم، لكن لو المجتمع ضعيف الإيمان والمصالح عند الفسّاق فإنّهم لن يدّعوا الإيمان! ولذلك لم يُدّعى الإيمان في مكّة أبدًا، يعني في العهد المكّي لم يَدّعِ أحد الإيمان! لأنّه لم يكن هناك مصالح! ليس هناك دنيا! بالعكس في العهد المكّي كان الّذي يؤمن يُعذّب فلا يوجد أحد سيدّعي الإيمان! لكن عندما قامت دولة المسلمين في المدينة وصاروا أقوياء، صار هناك عند المسلمين مصالح فأتى النّاس يدّعون الإيمان!

ما هو مقصدهم من دعوى الإيمان؟ {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} لكسب الدّنيا!

الآن سيأتي الحكم على المخادعة. ستكتبين: الحكم على المخادعة، وفي الحقيقة {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ} ثمّ وُصفوا بأنّهم: {وَمَا يَشْعُرُونَ} لا يشعرون بأنّ خديعتهم لأنفسهم! لا يشعرون بأنّ خديعتهم عائدة عليهم! يظنّون أنّهم قد خدعوا الله والّذين آمنوا.

مدارسة الآية (١٠) من سورة البقرة

بماذا وُصف الصّنف الثّالث في الآية (١٠)؟

وُصف بالكذب:

الآن سنقرأ الآية (١٠) ثمّ بعد ذلك سنقسّمها إلى مجموعة جمل:

من أهداف وفوائد الدّراسة الإجماليّة (٢)

من فوائد الدّراسة الإجماليّة أنّك تقسّمين الآية إلى مجموعة جُمل:

الفائدة الأولى: معرفة الرّوابط بين الجمل، بحيث أنّك عندما تسمّعينها لا تخطئين –إن شاء الله– أبدًا في التّتابع.

يقول الله عزّ وجلّ: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}(١).

الآن إلى كم جملة ستقسّمين الآية؟ ستبتدئين أوّلًا: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} الضّمير عائد على هؤلاء الّذين يخادعون. أصل حالهم أنّ {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} ما هو المرض الّذي في قلوبهم؟ حبّ الدّنيا.

(١) سورة البقرة: ١٠.

من لطائف التّدبّر (٣)

ماذا كان جزاؤهم؟ اهتمّي بالفَاء، على ماذا تدلّك هذه الفَاء؟ التّرتيب مع التّعقيب، يعني مباشرة، وكذلك تضيف لك السّرعة.

لو سألنا السّؤال بطريقة أخرى وقُلنا: لماذا زادهم الله مرضًا؟ لأنّ في قلوبهم المرض، الفاء تعني التّرتيب مع التّعقيب، ماذا يقصد بالتّرتيب مع التّعقيب؟ يعني هذا الشّيء جاء بسبب هذا الشّيء، بعد هذا الشّيء ممكن زمنًا، وبعد هذا الشّيء ممكن سببًا، يعني الأوّل كان سببًا للثّاني.

الآن {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} جعلهم {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} جعلهم يدّعون الإيمان، هكذا أتيت بالآيتين السّابقتين، ما هي النّتيجة؟ {فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} إذًا الفاء لا تنسيها.

قد تقولين: عندما نكون مرضى فإنّ المتوقّع الشّفاء! يعني ربّنا الشّافي، فالإنسان لو كان في بدنه مرض أو في قلبه مرض فإنّ المتوقّع بأنّ ربّنا يشفيه وليس يزيده مرضًا! هذا نفس الكلام عن {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ} ماذا ستقولين؟ لماذا زادهم مرضًا؟ لأنّ الله يشفي مَن يطلب الشّفاء، الّذي يهتمّ أن يشفى، ويدعو ربّنا، ويبذل جهده في العلاج ويأخذ بالأسباب، سيشفيه ربّ العالمين، لكن الّذي هو متمتّع بالمرض! {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} ماذا؟ يعني {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} حبّ الدّنيا! {فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} جزاء، هم لا يشعرون بأنّهم يخادعون أنفسهم! هم يعرفون هذه الصّفة في أنفسهم بأنّهم يحبّون الدّنيا! هم يعرفون هذا لكن الّذي لا يشعرون به أنّ الخديعة لأنفسهم! لكن هم يعرفون بأنّهم يحبّون الدّنيا ويشعرون بأنّه من الطّبيعي أن يحبّوا الدّنيا! طبيعي أن تبقى طوال النّهار متلهّفة على الدّنيا! ثمّ إذَا ما أتيت تقولين لهم: يقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ)[1] فالمفترض كلّما كبرت هذّبت نفسك من حبّ الدّنيا لأنّ من الأمراض أن تكبر ويكبر حبّ الدّنيا في قلبك! ليس شيئا طبيعيّا فهذا مرض! فيبقى يشعر بأنّه من الطّبيعي أن يحبّ الدّنيا بل ويزداد حبّا لها! وكلّما أخذ من الدّنيا زاد تعلّقا بها! ولذلك قال النّبيّ: (لاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلّا التُّرَابُ) أي عندما يصير في قبره فإنّ التّراب هو الّذي يملأ قلبه! (وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ)[2].

فإذًا:

---

(١) أخرجه البخاريّ (٦٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاريّ (٦٠٩٨).

- {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} هذا تقرير أنّ في قلوبهم مرض، المرض هو حبّ الدّنيا! ولم يطلبوا الشّفاء منه! ثمّ بعد ذلك هذه الجملة {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} أصبحت بمثابة السّبب.
- فجاءت الجملة الثّانية: {فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} هذا كان العقوبة أو الجزاء في الدّنيا.
- وبعد ذلك: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} لا تنسي الوَاوَ، يعني مع أنّ الله –عزّ وجلّ– زادهم مرضًا في الدّنيا، إلّا أنّهم في الآخرة لهم عذاب أليم.
- {بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} هذه هي العلّة: {بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} إذًا ما صفتهم؟ الكذب!

الآن نريد أن نعرف ما هو شكل الكذب في حقّهم؟ كيف يكذبون؟ {يَقُولُ آمَنَّا} {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}. هم الآن كذبهم ليس على النّاس بقدر ما هو على الله! في أوّل الأمر على الله ثمّ بعد ذلك على أنفسهم!

هم ماذا يقولون؟ {آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} وفي الحقيقة هم {مَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}!

الآن نضرب مثالًا لكي تتصوّروا ما هو نوع الكذب؟

في أوّل سورة المنافقون: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[1] ماذا قالوا كذبًا؟ {قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} هل هناك كذب في هذه الكلمة؟ أين الكذبة بالضّبط؟ هو رسول الله، يعني هذه الجملة ليس فيها كذب، بل هو رسول الله! إنّما كذبهم في الشّهادة! ولذلك الله –عزّ وجلّ– قال: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} إنّ الله يعلم ذلك، وهذا كلام صحيح ليس فيه كذب، إنّما الكذب في شهادتهم! فهم يقولون عن أنفسهم أنّهم يشهدون أنّه رسول الله، والصّحيح أنّهم لا يشهدون بأنّه رسول الله! والدّليل أنّهم لا يحبّونه ولا يتّبعونه ولا يقدّسون ما نزل عليه! فهناك أعمال تدلّ على أنّ الإنسان صادق في شهادته.

فالمقصد: أنّ هؤلاء كاذبون، ليس بمعنى أنّهم لا يقولون كلامًا صحيحًا لأنّهم: {قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} يعني هناك شهادة بأنّه رسول لكن ماذا ينقصهم؟ أن يكونوا صادقين فيما يقولونه؛ لأنّهم يقولون حقًّا لكنّهم لا يشعرون به في نفوسهم! ليس واقع في نفوسهم!

فالكذب ليس في الحقائق المجرّدة وإنّما الكذب في وصف ما في قلوبهم؛ ولذلك فإنّ الّذي يحبّ الدّنيا دائمًا مع الزّمن لا يدري مَن هو؟! لأنّه كلّما رأى أحدًا كذب عليه وقال: (إنّي أحبّك وكذا وكذا...)

(١) سورة المنافقون: ١.

لكي يأخذ منه مصلحة! والثّاني يفعل معه مثل ذلك! والرّابع! والخامس! والعاشر! فهو في النّهاية لا يدري ما هي مبادئه وقيمه! لأنّه متى ما صارت هناك مصلحة فإنّه يتكلّم بذلك!

الآن لدينا سؤال: **كيف لا يشعرون بأنّهم يخدعون** {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}؟ لا يشعرون بأنّ الخديعة عائدة عليهم، رأيت كيف عندما تحكين قصّة خياليّة لأحد، ثمّ إنّ الّذي أمامك لا يقدر على أن يقول لك: (أنت كاذبة!) فيسكت ويتفاعل معك غضبًا عنه لأنّه محرج مثلًا لأنّك كبيرة وهو صغير فلا يقدر أن يعلّق عليك ولا أن يكذّبك! وهو يعتقد في داخله أنّك كذّابة! وأنت بسبب ردود فعله صدّقت أنّه يصدّقك! فالّذي يصير أنّك تشعرين بأنّك خدعته بينما في الحقيقة من الّذي خُدع؟ أنت!

ومثال ذلك أيضًا مَن يكتبون في الجرائد ويغمزون في الدّين ويلمزون ثمّ بعد ذلك يُظهرون أنفسهم بصورة ذلك الإنسان الصّالح الّذي يحبّ الدّين! وأنت هل تقولين له: (لا! أنت منافق؟!) ستسكتين فهو يعتقد أنّه خدعك وأنّه صالح من أهل الإيمان!

ومثله مَن يذهب يصلّي في مسجد ويهتمّ بأن يصير إمامًا! ثمّ بعد ذلك في الخفاء حيث لا يدري عنه أحد يسأل ويقول: (كم الرّتب؟ لا! زدوا لي كذا! وسّعوا لي البيت! افعلوا كذا...) ويزيد! ويزيد في طلب الدّنيا! ثمّ بعد ذلك يأتي يقول لك: (المؤذّنين أطول النّاس أعناقًا يوم القيامة! الأئمّة يحصل لهم كذا!) ويعتقد أنّه خدعك وأنت تعرفين هذه الحقائق -نحن لا نحكم على النّاس لكن أنا أصوّر لكم المسألة فقط- وهو في النّهاية يعمل في هذه الوظيفة لأجل المصالح الّتي تأتي من ورائها وفي النّهاية يمثّل لك أنّه مؤمن ويحبّ الإيمان! فهو ما عنده إلّا هذه الطّريقة!

مثلًا: يدخل مدرسة تحفيظ يحفظ القرآن لأنّه لا يوجد شيء ثان يتسلّى به! لأنّه ليس لديه يعمل! ثمّ بعد ذلك يصدّق نفسه فيصبح فيما بعد مفتيًا للدّيار! وهم في النّهاية {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} فأيّ إنسان صادق فإنّه مباشرة يستطيع أن يميّز، لذلك لا تستفتي أيّ أحد ولا تسألي أيّ أحد لأنّ هناك أناس انقلبت فلا تشعر بأنّ هؤلاء صادقين!

لكنّنا ليس لنا علاقة بالنّاس والحكم عليهم فإنّ أهمّ شيء هو ألّا نكون نحن من هؤلاء! أهمّ شيء أن لا تكذبين وتحسبين نفسك قد خدعت النّاس والنّاس صدّقوك!

{أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ}[١] ستجدين فقدانهم للشّعور كثير! فأكثر صفة في المنافقين أنّهم لا يشعرون بالحقائق! فإنّهم يغيّبون أنفسهم عن الحقائق! وإذا أردتم أن تعرفوا حقائقهم اذهبوا إلى سورة الحديد وادرسوها بالتّفصيل ستتبيّن لكم الحقائق.

{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[٢] فهناك صفات معيّنة يوصفون بها.

مدارسة الآية (١١) والآية (١٢) من سورة البقرة

بماذا وُصف الصّنف الثّالث في الآية (١١) والآية (١٢)؟

وُصف بالإفساد:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ}.

إذًا ما هي صفتهم؟ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} قالوا: {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} يعني حصروا الإصلاح على أنفسهم! فإذًا ماذا ستكتبين على {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}؟ (حَصْر الإصلاح).

من لطائف التّدبّر (٤)

{إِنَّمَا} أداة حصر، و {نَحْنُ} ضمير يدلّ على الاختصاص.

ماذا يقول الله -عزّ وجلّ- في الحكم عليهم؟ {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} مرّة أخرى {وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ} طبعا هذا الميزان المختلف بسبب أنّهم يرون الصّلاح في الدّنيا! يعني {إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} لماذا يرون أنفسهم مصلحون؟ لأنّهم يزنون المسألة بالدّنيا! كلّما حصلوا على الدّنيا أكثر رأوا أنّه صلاح! كلّما صار انفلات عند النّاس أكثر رأوا أنّه صلاح!

والصّحيح في حكم الشّرع {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} يعني أمام ضمير {نَحْنُ} هناك ضمير {هُمُ} على الاختصاص {وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ}.

فإذًا ما هي صفتهم؟ الإفساد.

---

(١) سورة البقرة: ١٢.

(٢) سورة الحديد: ١٤.

مدارسة الآية (١٣) من سورة البقرة

بماذا وُصف الصّنف الثّالث في الآية (١٣)؟

وُصف بالكِبْرُ:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ}.

ما هي صفتهم؟ الكبر، لماذا تقولين عنهم (إنّهم متكبّرون!) {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ} ماذا قالوا؟ {قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} يعني يرون غيرهم سفهاء! ويرون أنفسهم هم الفاهمين! هم العاقلين! هم من يعرفون الدّنيا! هم الحكماء.

الله –عزّ وجلّ– يحكم عليهم فيقول: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ} ما هي مشكلتهم كلّها الآن؟ فَـ {لَّا يَشْعُرُونَ} و {لَّا يَعْلَمُونَ} وكلّ هذا بسبب أفكارهم! فهنا كلّ المعركة فكريّة! فهم يأكلون ويشربون مثلما تأكل وتشرب، ويعيشون مثلما تعيش، ويصلّون ويصومون ليس لديهم مشكلة في هذا كلّه! لكن أين المشكلة؟ في أفكارهم!

مدارسة الآية (١٤) والآية (١٥) من سورة البقرة

بماذا وُصف الصّنف الثّالث في الآية (١٤) والآية (١٥)؟

وُصف بالتّلوّن والاستهزاء:

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}.

هذا تفصيل لموقفهم في مسألة ادّعاء الإيمان، ما هو هذا التّفصيل؟

{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا} يتلوّنون الآن!

{وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ} من هم {شَيَاطِينِهِمْ}؟ شياطينهم سيكونون الأعوان لهم بكلّ أنواع الأعوان والكفّار هم أوّل الأعوان والّذين مثلهم.

{قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} فإذًا ما هي صفتهم؟ التّلوّن: {إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ} هذا هو التّلوّن.

وأيضا صفتهم الواضحة أنّهم يستهزئون.

أنت ستفهمين هذا جيّدًا عندما تقرئين آخر سورة المؤمنون، فتسمعين في آخر سورة المؤمنون الكفّار يوم القيامة عندما يدخلهم الله النّار ويطلبون أن يخرجوا منها! الله -عزّ وجلّ- يبيّن لهم: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} وبعد ذلك؟ {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ}[1] فإذًا هذا معنى الاستهزاء {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} فلأجل هذا لابدّ أن تتأكّدي أنّ أهل الإيمان يتعرّضون للاستهزاء من أهل الكفر والنّفاق، يعني{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا} بحيث أنّه صار موضوعهم!

{حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} يعني أصبح الشّغل الشّاغل عند المنافقين والكفّار أنّهم يستهزؤون بالمؤمنين! وكلّما رأوهم في موقف رسموا لهم تلك الرّسومات! كتبوا لهم تلك الكلمات! وتركوا الكلام الّذي فيه استهزاء بالمؤمنين سائرًا بين النّاس بحيث أنّه صار أهل النّفاق وأهل الكفر لا شاغل لهم إلّا الاستهزاء بأهل الإيمان!

الجواب: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} ومن الاستهزاء بهم أنّه: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} يبقون في هذا لا يخرجون منه، قال تعالى: {مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا}[2].

مدارسة المثل الأوّل في سورة البقرة الآية (١٦)

بماذا وُصف الصّنف الثّاني والثّالث في الآية (١٦)؟

وصفا بعدم الهداية:

يقول الله عزّ وجلّ: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}.

الآن أتانا الحكم على الصّنفين: الكفّار {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}. ما هو الحكم؟

(١) سورة المؤمنون: ١٠٩_١١٠.

(٢) سورة مريم: ٧٥.

يقول الله عزّ وجلّ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}.

إذًا هذا الحكم قد مرّ معنا: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ} هذا أوّل تشبيه عندنا: {اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ} بمعنى أنّهم كانوا يملكون الهدى وكان في السّوق الضّلالة، ماذا فعلوا؟ ذهبوا أخذوا الضّلالة دعوني أعتبرها كالسّلعة موجودة عندهم أخذوها وذهبوا بدّلوها بالسّلعة الرّديئة! الّتي هي الضّلالة!

النّاس اليوم يستعملون العملة النّقديّة، يعني معك مال ثمّ تذهب تشتري شيئًا، لكن في الزّمن الماضي كان سلعة بسلعة؛ الآن سنفترض أنّ الإنسان من مبدأ حالته عنده الهدى، يعني عنده فطرة سويّة، عنده آيات كونيّة، الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– أتى بآيات دالّة على صدقه، ثمّ هم أخذوا الهداية الّتي يملكونها وذهبوا باعوها واستبدلوا بدلًا عنها الضّلالة {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ} يعني الّذي كانوا يملكونه هو الهدى، والّذي اشتروا بدله هو الضّلالة.

الله –عزّ وجلّ– حكم على تجارتهم هذه، قال: {فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}.

إذًا هذا أوّل مثل ضرب لهم، ستعبّرين عن المثل باختصار بالتّجارة، ضُرب المثل بالبيع والشّراء؛ لأجل هذا قيل: {فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} ما هي السّلعة الّتي كانت معهم؟ الهدى. ما هي السّلعة الّتي استبدلوا بها؟ الضّلالة! الحكم؟ {فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}.

مدارسة المثل الأوّل في الآية (١٧) والآية (١٨) من سورة البقرة

الإيمان ممكن أن يدخل ويخرج بسبب عدم المحافظة عليه عندما لا يحسّ بأنّه ثروة!

يقول الله عزّ وجلّ: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}.

{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} استفدت من السّين {اسْتَوْقَدَ} الطّلب، طلب {نَارًا} لكي يستضيء، عندما طلب هذه النّار حصلت الإضاءة {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ} ورأى كلّ شيء ورأى الحقيقة لم يحافظ على هذا النّور!

وأنت تصوّري أنّه شخص في كهف وكانت هناك ظلمة، ثمّ وجد من معه نورًا {اسْتَوْقَدَ} منه النّور، يعني أخذ منه جزءًا من النّور وضعه في كهفه، ورأى كلّ شيء حوله وعرف الحقيقة، ثمّ بعد ذلك لم يحافظ

على هذا النّور! فانطفأ النّور! فالّذي لا يحافظ على نوره يذهب نوره {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ} هذا هو المثل الحسّي باختصار.

والمعنوي: كأنّه جلس مع المؤمنين ومن ثمّ أخذ منهم نور الهدى دخل إلى قلبه، يعني بدأ يرى الأشياء على حقيقتها، لكنّه لم يحافظ على الإيمان، المشكلة أنّنا عندما يدخل لنا الإيمان نعتقد ثباته بمجرّد دخوله! والحقيقة كما في آل عمران أنّ أولي الألباب ماذا يقولون: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}[1] معناها: أنّ الإنسان عندما يأتيه إيمان، لا يطمئنّ لوجود الإيمان وإنّما يحافظ عليه.

وعلى ذلك تفهمين من هذا المثل: أنّ الإيمان دخل إلى قلوب المنافقين وآمنوا، لكن مثلما قال الله –عزّ وجلّ– في سورة النّساء الآية (١٣٧) وقالها في سورة المنافقون الآية (٣) {آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} يعني ممكن أن يؤمن الإنسان ثمّ يخرج الإيمان من قلبه ومع ذلك مازال في الصّورة الظّاهريّة باقيًا مع أهل الإيمان، يعني الإيمان ممكن أن يدخل ويخرج بسبب عدم المحافظة على الإيمان! لا يحسّ أنّ الإيمان ثروته.

لأجل هذا فإنّك تجد المنافق إذا وجد أيّ باب يوصله للدّنيا يذهب ولا يبالي! حتّى ولو ذهب إيمانه فإنّه لا يبالي! لا يفكّر هل سيبقى هناك إيمان أم لا يبقى؟! لكن أهمّ شيء: أن يحصّل الدّنيا! لدرجة أنّه صار النّاس لأجل أن يقوموا بالعبادات فإنّه لابدّ أن تكون لهم فيها مصالح دنيويّة! لابدّ أن تقول لهم بأنّ الصّلاة رياضة! وحين تسجد تذهب شحناتك السّالبة! وَصُمْ لأجل أن يحصل لك كذا في بدنك! وكلّ هذا الكلام الكذب!

ولا يوجد صلّ من أجل روحك العطشانة! قِف بين يدي الله وانتفع بالصّلاة! ليس هناك صلّ من أجل اليوم الآخر! على أساس أنّ كلّ المنافع دنيويّة! كأنّك جسد لا روح فيك! وليس كأنّ السّيّد في الموقف هو الرّوح والجسد إنّما هو تابع له، بدليل أنّ هذا الجسد سيأكله الدّود في الأرض، وحين تخرج يوم القيامة ستنبت مثلما ينبت الزّرع، جسد جديد لكن عندما يُنفخ في الصّور ستعود روحك نفسها إلى الجسد الجديد الّذي له طاقات مختلفة تمامًا لكي تحتمل يوم القيامة، فجسدك هذا إنّما هو فقط تابع لك!

وهذه هي المشكلة: أنّه لا يشعر بأنّ الكنز الّذي عنده هو الإيمان، ويشعر أنّه ممكن أن يتدارك الإيمان! ولا يدري بأنّ الدّنيا هي الّتي من الممكن تداركها بينما الإيمان إذا ذهب فإنّه من الصّعب جدًّا عودته،

(١) سورة آل عمران: ٨.

لكن ما لنا إلّا الله –الله يثبّتنا على الإيمان– وهذا يفهّمك لماذا كان النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– يُكثر من قول: (يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)[1] بسبب أنّه لابدّ أن تخاف على الإيمان.

لا تأخذ قرارات في حياتك وأنت لم تأخذ في حسبانك "**الإيمان**"! لا تُصاحب أحدًا وأنت لا تدري هل هذا يزيدك من الإيمان أم ينقص لك الإيمان! يعني الإيمان هو الأساس في اتّخاذ القرار، لا تتّخذ قرارًا إلّا على أساس الإيمان حتّى أنّك لا تختار بيتك إلّا على أساس الإيمان، يعني: هل البيت قريب من المسجد، فأسمع صوت الأذان؟ بحيث أن تدلّ قراراتك كلّها على أنّك معتنٍ بالإيمان، لا أن ترمي نفسك في أيّ شيء!

على كلّ حال فإنّ هؤلاء أصبحوا لا يبصرون! {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}.

مدارسة المثل الثّاني في الآية (١٩) والآية (٢٠) من سورة البقرة

المنافقون يخافون ممّا في القرآن لأنّ آيات القرآن تفضح ما في داخلهم!

يقول الله عزّ وجلّ: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

هنا المثل فيه المطر، لكن المقصود به صاحب هذا المطر، يعني {كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} هذا الّذي في المطر ما حاله؟ خائف: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ}. ما وجهه؟ {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} ما هو المعنى؟ نحن يهمّنا الآن في الإيمان والنّفاق ما هو المقصود؟

يعني المنافقون يخافون من آيات القرآن عندما تنزل عليهم بمثابة الصّواعق لأنّها تفضح ما في داخلهم.

هذا الكلام مختصر فالمسألة تحتاج إلى تفصيل أكثر وقراءة أكثر، لابدّ أن تمتّعوا أنفسكم بالأمثال القرآنيّة.

لكن ما هي الصّعوبة هنا؟ هذان المثلان في الحقيقة من أصعب الأمثال الّتي ضُربت في القرآن، والسّبب أنّك لا تستطيعين استيعابها إلّا عندما تعرفين صفات المنافقين لكي تتصوّري ما الّذي يدور في أذهانهم،

(١) أخرجه التّرمذيّ (٣٥٩٨).

ما الّذي يكون في قلوبهم، لكي تتصوّري كلّ آية من هذه الآيات وكلّ وصف من هذه الأوصاف كيف يحصل في الواقع.

مدارسة المقصد الأوّل من سورة البقرة

من الآية (٢١) إلى الآية (٣٩)

١) دراسة الجزء الأوّل من المقطع الأوّل (٢١-٢٥):

"أركان العبادة"

١) الاعتراف بربوبيّة الله المؤدّية إلى ألوهيّته.

٢) الإيمان بالكتب والرّسل.

٣) الإيمان بالجزاء.

٢) دراسة الجزء الثّاني من المقطع الأوّل (٢٦-٢٩):

"تحقيق الحقّ"

دراسة الجزء الأوّل من المقطع الأوّل (٢١-٢٥)

"أركان العبادة"

ما هي أركان العبادة الّتي أتت في هذه الآيات؟

الرّكن الأوّل للعبادة: الاعتراف بربوبيّة الله المؤدّية إلى ألوهيّته:

بسم الله، الآن سنبدأ في المقصد الأوّل: ذكرنا أنّ سورة البقرة فيها مقدّمة وخاتمة وأربعة مقاصد،

المقصد الأوّل يبدأ من الآية (٢١) إلى الآية (٣٩).

يقول الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

من لطائف التّدبّر (٥)

هذا المقطع بدأ بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فسيكون فيه نداء لكافّة النّاس، وأمر لهم بالعبادة، ومناقشة للأدلّة الدّالّة على ذلك.

دعونا نبدأ بالآية (٢١) ونرى كيف أتى الخطاب، قال الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} ما هو الأمر؟ {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}.

وبعد ذلك أتت الجملة الثّانية بمثابة البرهان أو الدّليل {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}.

إذًا {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} لأنّه {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} وكأنّ السّؤال في الذّهن: من أين أتيت؟ ستقول! من والديك. والديك من أين أتوا؟ من والديهم. والديهم من أين أتوا؟ وهكذا لابدّ أن يكون

هناك الأوّل! لأنّ العقل البشريّ يؤمن من فطرته بقانون قطع التّسلسل، وأنّه لا يمكن أن يحصل شيء لو كانت الأمور متسلسلة!

وهذا الكلام مهمّ جدّا لكي تعرفوا هذا الدّليل الأوّل كيف أتى؟ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} ما هو الدّليل؟ {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} يعني ربّنا لم يقل: {الَّذِي خَلَقَكُمْ} أنتم فقط، بل {وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} لكي تصلي في النّهاية لاسمه الأوّل.

كيف تفهمين هذه المسألة؟ لأنّ هذا دليل مهمّ جدّا لإيمانك فلابدّ بأن لا تضيّعيه:

كلّ النّاس بفطرتهم السّويّة يعرفون أنّ أيّ شيء موجود وحاصل ومُنجز لابدّ أن يكون له أوّل، أيّ شيء لابدّ أن يكون له أوّل، فمثلًا أنت تسألين أحَدا عن أولاده تقولين له: (من أوّل أولادك؟) لأنّه لابدّ أن يكون هناك أوّل، وتقولين: (ما هي أوّل ساعة في النّهار؟ ما هي أوّل ساعة في اللّيل؟ من أوّل من اخترع كذا؟) إذًا كلّ شيء لابدّ أن يكون له أوّل لكي يكون موجودًا، ولو لم يكن هناك أوّل لا يمكن أن يكون هناك وجود أبدًا، وهذه المسألة سهل جدّا أن تفهميها عندما تأتي تطلبين شيئًا:

فأنا الآن لو طلبت من الصّفّ الأوّل أن يعطيني قلمًا، فطلب الصّفّ الأوّل من الصّفّ الثّاني أن يعطينا قلمًا، والثّالث طلب من الرّابع، والرّابع طلب من الخامس، وهكذا إذَا لم نصل إلى أحد يعطينا فيصير أوّل من يعطينا، هل سيصل القلم؟ يعني إذَا بقيت متسلسلة! متسلسلة! ففي النّهاية لن يكون هناك قلم! لأنّه لم يأتِ أحد وكان الأوّل فأعطانا القلم؛ بسبب أنّ الأوّل أعطانا أصبح معنا قلم.

وهكذا معناها: أنّه لا يمكن أن تحصل الأشياء إذَا لم يكن لها أوّل، لابدّ من أوّل.

وهذا الأمر فطريّ واضح لا يختلف عليه اثنان.

وانظري، عندما تكونين جالسة في البيت ويكون عندك بنات وأولاد، فمثلا تقولين: (هاتوا لي كأس ماء!) فيقول الأوّل للثّاني! والثّاني يقول للثّالث! والثّالث يقول للرّابع! والرّابع يقول للخامس! ولم يقم واحد ويأتِ بالماء! فإذًا لن يكون هناك ماء! لأنّه لم يكن هنا أوّل من بينهم يأتي بالماء.

إذًا، إذَا لم يقم أوّل واحد بالمهمّة فلن تُقام المهمّة، فلابدّ أن يكون هناك أوّل لكلّ مسألة.

ولذلك فإنّ أوّل دليل جاءنا هو هذا الدّليل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} أنتم {وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} إذًا الله هو الأوّل.

{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لعلّكم بهذه العبادة تتّقون سخطه سبحانه وتعالى.

إذًا الدّليل الأوّل على استحقاقه –سبحانه وتعالى– للعبادة هو قوله تعالى: {الّذِي خَلَقَكُمْ وَالّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}.

ثمّ سنناقش معنى {اعْبُدُوا رَبّكُمُ} لأنّ المعنى العامّ للعبادة الموجود في أذهاننا معنى جزئي، بمعنى: الأعمال والتّكاليف الّتي نقوم بها، بينما –في الحقيقة– المعنى أضخم من ذلك لكنّ النّاس قلّصوه فقط في هذه الأعمال وتركوا الدّنيا فلم يدخلوها تحت العبادة، والمفترض أن تكون العبادة من منشأ حركة قلبك إلى حركة بدنك إلى علاقاتك إلى ما تقبله وما ترفضه فكلّه داخل تحت {اعْبُدُوا رَبّكُمُ} يعني كونوا عبيدا كما ينبغي.

نأتي للدّليل الثّاني: {الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسّمَاءَ بِنَاءً} الأدلّة لها أنواع، تبدأ بالأبعد أحيانًا وأحيانا بالأقرب. هنا تبدأ بالأقرب لك:

الأقرب لك أنّه خلقك، بعد ذلك الأقرب لك الأرض ثمّ الأقرب لك السّماء.

الدّليل الأوّل: {خَلَقَكُمْ وَالّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}.

الدّليل الثّاني: {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا}.

الدّليل الثّالث: {وَالسّمَاءَ بِنَاءً}.

الدّليل الرّابع: {وَأَنزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً}.

الدّليل الخامس: {فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثّمَرَاتِ رِزْقًا لّكُمْ}.

آخر جملة: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

إذًا لديك خمسة أدلّة والمطلوب منك أن تعبد الله و {فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنّه لم يشارك الله أحدًا في خلقكم ولا في خلق السّماء، ولا في خلق الأرض، ولا في إنزال الماء من السّماء، ولا في إخراج الثّمرات {فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

إذًا هناك نتيجتين للأدلّة:

النّتيجة الأولى: اعبدوا الله {اعْبُدُوا رَبّكُمُ}.

النّتيجة الثّانية: واعبدوه موحّدين في ذلك: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

إذًا انتهينا الآن من الرّكن الأوّل من أركان العبادة وهو: الاعتراف بانفراد الله بالرّبوبيّة الدّالّة على استحقاقه للألوهيّة.

الرّكن الثّاني من أركان العبادة: الإيمان بالكتب والرّسل:

نرى الرّكن الثّاني من أركان العبادة، قال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}.

ما هو الرّكن الثّاني للعبادة؟ قال تعالى: {نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} إذًا الإيمان بالكتب والرّسل.

لماذا يعتبر الإيمان بالكتب والرّسل ركن من أركان العبادة؟ نحن نعبد ربّنا، فربّنا مستحقّ للعبادة، لكن هل أنت تعبدين الله على هواكِ؟ لا! وإنّما لابدّ من رسول يدلّك على الطّريق، ولابدّ من كتاب يكون لك منهجًا تعودين إليه.

دعونا نقسّم الآية إلى مجموعة جمل:

الجملة الأولى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} هي جملة شرطيّة يترتّب عليها جواب الشّرط: الجملة الثّانية: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ} {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} يعني صادقين في أنّ عندكم ريب وتريدون أن تظهروا كذب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم! كذب الرّسالة! {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ}.

إذًا هذا الرّكن الثّاني للعبادة، فالعبادة الآن لها ركنان إلى هنا:

- **أوّلًا**: الاعتراف بربوبيّة الله الدّالّة على استحقاقه للألوهيّة.
- **ثانيًا**: الإيمان بالكتب والرّسل، يعني أنت لا تستطيع أن تعبد الله إلّا عندما يُرسل لك رسول، ويُنزل لك كتاب.

الرّكن الثّالث للعبادة: الإيمان بالجزاء:

لكي تحصل عبادة: لابدّ أن يكون هناك منهج ولابدّ أن يكون هناك جزاء؛ لأنّ الفطرة تقول: إنّ الإنسان لا يعمل إلّا إذَا علم أنّ هناك جزاء.

دعونا نرى الجمل الّتي في الآية:

{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا} هذه الآية مرتبطة بالآية السّابقة، سيترتّب عليها: {فَاتَّقُوا النَّارَ}.

فهذه جملة: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا}.

بعد ذلك جاءت الفاء رتّبت على ما مضى: {فَاتَّقُوا النَّارَ}.

ثمّ وُصفت النّار: {الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} لمن؟ {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}.

من أهداف وفوائد الدّراسة الإجماليّة (٣)

نحن الآن نقسّم الجمل لكنّها مترابطة جدّا، فهذا التّقسيم فقط لكي تتصوّري أنت المسألة، فإنّ هذا الكلام تامّ التّرابط؛ ولذا فإنّك تجدين في الآية (٢٤) أوّل جملة مرتبطة بالآية الّتي تسبقها: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} مرتبطة بالآية الّتي قبلها في كون أنّ العبادة لا تتمّ إلّا بإرسال رسول وإنزال كتاب.

فإذًا هذا الجزء الأوّل من الجزاء.

الجزء الثّاني: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يبشّرهم بماذا؟ {أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ} ما وصفها؟ {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ما حالهم فيها؟ حالهم: {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} هذا حالهم.

ثمّ بعد ذلك: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} بعدها: {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} والأخيرة: {وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} إذًا هذا الجزاء.

إذًا عندي ثلاثة أركان لحصول العبادة:

أوّلًا: الاعتراف بربوبيّة الله المؤدّية إلى استحقاقه للألوهيّة.

ثانيًا: الإيمان بالكتب والرّسل.

ثالثًا: الإيمان بالجزاء.

فإذًا الإنسان لا يستطيع أن يعبد إلّا إذَا عرف أنّ معبوده يستحقّ ذلك، وإلّا إذَا عرف طريقًا يوصل إلى معبوده، وإلّا إذَا علم أنّ هناك جزاء على عبادته، فأتت الثّلاثة أركان كلّها هنا منصوص عليها تامّة الوضوح.

ما هو تعريف الرّبوبيّة؟

الرّبوبيّة هي أفعال الله الّتي ربّى بها عباده من جهة الإيجاد والإعداد والإمداد:

ما هي الرّبوبيّة المؤدّية للألوهيّة؟ يعني كيف قلنا في البداية إنّ الله –عزّ وجلّ– أخبر عن أفعال الرّبوبيّة المؤدّية إلى استحقاقه –سبحانه وتعالى– للألوهيّة؟

ما هي الرّبوبيّة؟ هي: أفعال الله الّتي ربّى بها عباده. أيّ أفعال الله؟ كلّ أفعال الله –عزّ وجلّ– ، فأفعال الله أنت تعتقدين أنّها لا منتهى لها؛ لأنّك تقرئين مثلًا في سورة لقمان، وفي سورة الكهف أنّ كلماته – سبحانه وتعالى– لا منتهى لها، وأنّ أفعاله لا منتهى لها سبحانه وتعالى.

فالأفعال لله لا منتهى لها، والأقوال لا منتهى لها، أيّ من الأفعال تدخل في الرّبوبيّة؟ الّتي ربّى بها عباده، ما المقصود بـ" ربّى بها عباده"؟ المقصود بالتّربية هنا: "الإيجاد والإعداد والإمداد".

- الإيجاد: {الّذِي خَلَقَكُمْ وَالّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}: "أوجدكم".
- الإعداد: {الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسّمَاءَ بِنَاءً}: "أعدّكم".
- الإمداد: {وَأَنزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثّمَرَاتِ رِزْقًا لّكُمْ}: "أمدّكم".

الآن ما هو تعريف الرّبوبيّة؟ هي أفعال الله الّتي ربّى بها عباده من جهة الإيجاد، والإعداد، والإمداد.

إذًا الدّليل واضح بهذا التّرتيب: الله هو الرّبّ، الّذي ربّى عباده، بماذا؟ بأفعاله. أيّ من أفعاله؟ أفعاله الّتي فيها الإيجاد: {الّذِي خَلَقَكُمْ وَالّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} والإعداد: {الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسّمَاءَ بِنَاءً} والإمداد: {وَأَنزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثّمَرَاتِ رِزْقًا لّكُمْ}.

إذًا الله أوجدكم وأعدّكم وأمدّكم؛ ولأجل هذا فالّذي سيأتي من بعده مناسب لهذه الأفعال الرّبوبيّة، سنرى الآن.

ما هي الرّبوبيّة المؤدّية للألوهيّة؟

لابدّ من الشّعور بأفعال الله لأجل أن تحصل العبادة من المحبّة والشّكر:

إذَا كان هو أوجدنا وأعدّنا وأمدّنا ماذا يستحقّ؟ العبادة.

العبادة هي هذه الكلمة الكبيرة الّتي نريد تفكيكها، نقول:

أوجدنا وأعدّنا وأمدّنا، ما هو الواجب تجاه ذلك؟

عندما يُحسن إليك فإنّك بفطرتك السويّة ستحبّين المحسن وستشكرين المحسن.

فأنت أوّل شيء لابدّ أن تشعري بأفعاله؛ لأجل أن تحصل منك العبادة؛ لأجل أن يحصل منك شكر المحسن، لابدّ أن تشعري أنّه أحسن إليك، المشكلة أنّ هذه المشاعر مفقودة!

وعن ذلك قال تعالى: {وَمَا يَشْعُرُونَ}(١) {وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ}(٢) الّتي كنّا نعيبها على المنافقين، أهمّ شيء أن لا تعيشيها أنتِ! وأن لا تَتُوهِي بمشاعرك يمينًا ويسارًا وتعتقدين بأنّ العبادة شيئًا مجرّدًا عن الشّعور، فإنّ المنافقين هم الّذين لا يشعرون! والمؤمنين طوال الوقت يشعرون، يعني قلوبهم حيّة ليست مريضة.

انظروا كيف حين يكون هناك جزء مشلول من الإنسان، يكون لا يشعر! فالقلب إن كان مريضًا فلن يشعر! وإن كان حيًّا سيشعر.

الشّعور الآن بماذا؟ لابدّ أن تشعري بأفعال الله، وأنّه أحسن إليك، طبعًا هذا الإحسان الّذي تقرئينه في الآيات إنّما هو إحسان مجمل، لكنّك تعيشين طوال الوقت إحسانًا تفصيليًّا كلّه دائر حول الإيجاد والإعداد والإمداد.

إذًا معنى ذلك: أنّ العبد إذَا شعر بأفعال الله، اعتقد بفطرته السّويّة أنّه يستحقّ المحبّة.

فإذَا استحقّ المحبّة، بعدما تحبّينه على أفعاله ستشكرينه، وهذه فطرتك السّويّة الّتي تقول لك: أيّ أحد أحسن إليك لابدّ أن تحبّيه.

إذًا المحبّة ناتجة من الشّعور الفطري، والشّكر أيضا ناتج من الشّعور الفطري.

إذًا العبادة عبارة عن المحبّة والشّكر؛ ولذلك قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}(٣) {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}(٤) الشّيطان يقول: (ولا تجد أكثرهم عابدين).

سؤال: (هل ممكن أن يهتدي إنسان حتّى لو لم يأتِه رسولًا ولم يقرأ كتابًا؟)

(١) سورة البقرة: ٩.
(٢) سورة البقرة: ١٢.
(٣) سورة سبأ: ١٣.
(٤) سورة الأعراف: ١٧.

في الأصل لو فكّرت في قصّة أصحاب الكهف سيتبيّن لك أنّهم اهتدوا بسبب فطرتهم السّويّة والآيات الكونيّة، فهكذا إجمالًا حصل لهم الاهتداء، لكن تفصيلًا لابدّ من الكتاب.

الآن أنت عرفت عن أفعال الله: الإيجاد والإعداد والإمداد، وأيضًا من أفعاله -سبحانه وتعالى- الّتي ستكون بعد ذلك في الآية (٢٣): {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} أين فعل الله هنا؟ {نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} هذا اسمه: الإسعاد، يعني الآن صاروا أربعة أفعال لله -عزّ وجلّ- مُجملة، ما هي؟ **الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد.**

الإسعاد في أيّ شيء؟ الإسعاد في إرسال الرّسل، وإنزال الكتب، وفي الهداية، يعني لازال يمدّنا -سبحانه وتعالى- بما تقوم به دنيانا، ويسعدنا بما تقوم به آخرتنا.

هكذا اتّفقنا على أن أركان العبادة كلّها حصلت هنا: من الآية (٢١) إلى الآية (٢٥)، ما هي أركان العبادة؟

- **الاعتراف بربوبيّة الله المؤدّية إلى ألوهيّته.**
- **الإيمان بالكتب والرّسل.**
- **الإيمان بالجزاء.**

-الحمد لله- انتهينا من هذا.

سنأتي للآيات الّتي بعدها، سنأخذ فقط كلامًا مُجملًا فيها -وإن شاء الله- نكمل في اللّقاء المقبل.

دراسة الجزء الثّاني من المقطع الأوّل (٢٦-٢٩)

"تحقيق الحقّ"

الله -سبحانه وتعالى- لا يستحيي من الحقّ:

يقول الله عزّ وجلّ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

الآن هذه الآيات ستدور حول تحقيق الحقّ الّذي مرّ معنا.

ما هو الحقّ الّذي مرّ معنا؟

- أنّ الله مستحقّ للألوهيّة.
- وأنّه –سبحانه وتعالى– أرسل رسوله وأنزل الكتاب.
- وأنّ الجزاء حقّ.

ولذلك قال لهم هنا: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} الّتي هي أركان العبادة، أركان الحقّ.

هنا الآن تحقيق للحقّ، سنبدأ بالآية (٢٦) ونرى أين تحقيق الحقّ؟

الله –عزّ وجلّ– يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} وهذا فيه نفي صفة عن الله وهي: صفة الحياء، وهذه الصّفة منفيّة بصورة ومُثبتة بصورة.

هذا أهمّ كلام نقوله هنا قبل أن ندخل في التّفاصيل:

الله –عزّ وجلّ– حييّ ستّير، إذًا هكذا أثبتّ له صفة الحياء سبحانه وتعالى.

(حَيِيٌّ سِتِّيرٌ) كما ورد في الحديث (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، ثُمَّ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا)[1] يعني عندما ندعوه يستحي –سبحانه وتعالى– أن يردّ العبد صفرًا لا يأخذ شيئًا منه، إذًا هكذا أثبتّ الحياء صفة لله.

وهنا في الآية الصّفة منفيّة: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا}.

إذًا ما هي عقيدتك: أنّه ورد الحياء مُثبتًا لله، وورد الحياء منفيًّا عن لله.

ما هو دليلك في المُثبت؟ (إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ)[1] وأيضًا لفظة: (يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا) كلّ هذه الألفاظ دالّة على أنّه –سبحانه وتعالى– من وصفه الحياء.

(١) أخرجه عبد الرّزاق (٣١٤٥).

- وورد الحياء منفيًّا كما في الآية أنّه: {لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا}.

فإذًا وردت مرّة مُثبتة ومرّة منفيّة، وهي تليق به -سبحانه وتعالى- إثباتًا ونفيًا، يعني نحن نثبتها على ما تليق به، فإذَا قلت إنّها مُثبتة فإنّها ستليق به، وإن قلت إنّها منفيّة فإنّها ستليق به.

الآن وهي منفيّة ماذا سيكون معناها؟ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي} لا يستحي من ماذا؟ لا يستحي من الحقّ، هكذا وهي منفيّة.

وماذا سيكون معناها وهي مثبتة؟ ما هو المقصود بحياء الله؟ يعني من آثار كرم الله -عزّ وجلّ-ورحمته ولطفه بخلقه يستحي أن يردّ عبده صفرًا. إذًا أنت تُثبتينها، تُثبتين الصّفة فتفهمين معناها على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

فإذًا هذا أهمّ كلام هنا، وأهمّ شيء ذكرناه أنّ هذا المقطع الّذي هو من الآية (٢٦) إلى الآية (٢٩) فيه: تحقيق الحقّ.

جزاكم الله خيرًا، ألقاكم -إن شاء الله- وأنتم في خير حال.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٧١٣).

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء الثّالث: الخميس ١٧ المحرّم ١٤٤٠ هـ

"دراسة الآيات (٢٦_٣٩) من المقصد الأوّل"

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة حول تذكرة للنّفس

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تذكرة النّفس بالإخلاص وبالمقصود من دراسة كتاب الله وهو الوصول إلى رضا الله:

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونستفتح بأمر الله هذا اللّقاء بتذكير أنفسنا:

- ✓ **بالإخلاص.**
- ✓ **وبالمقصود من دراسة كتاب الله وهو: الوصول إلى رضا الله.**

تذكرة النّفس بحمد لله على نعمة تيسير قراءة كتاب الله وبالتّقرّب إليه بهذه النّعمة العظيمة:

فنسأل الله –عزّ وجلّ– أن نكون ممّن أخلص في عمله، وقصد وجه ربّه، وتقرّب إليه بهذه النّعمة العظيمة الّتي في مبدئها نعمة لابدّ من ذكرها، فإنّ كوننا نستطيع أن نقرأ كتاب الله بكلّ هذا اليسر والسّهولة فهذا بنفسه نعمة عظيمة –الحمد لله ربّ العالمين–

تذكرة النّفس بمعنى الاحتساب دائما أثناء دراسة القرآن:

لابدّ أن تتذكّر دائمًا وأنت تدرس القرآن فضل كونه كلام الله:

كنّا استفتحنا سورة البقرة فيما مضى، واتّفقنا أنّ البقرة سورة كبقيّة سور القرآن في كونها من كلام الله، فإنّ هذا متّفق عليه. فأنت حين تنظرين إلى السّور وفضلها، يبدأ الأمر من كون أنّ كلّ القرآن له فضل عظيم:

- **كونه كلام الله.**
- **ثمّ كلام الله نفسه يتفاضل.**

فإذًا الفضل الأساسي الآن أنّ سورة البقرة مثل بقيّة السّور في كونها كلام الله، ثمّ تزيد فضلًا عن بقيّة السّور بما أخبر به الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– من فضل لسورة البقرة.

لابدّ أن تتذكّر دائمًا وأنت تدرس السّورة الاستظهار بالأدلّة الدّالّة على فضل السّورة على وجه الخصوص:

فهذا يجعلنا ننظر إلى سورة البقرة نظرة خاصّة عن بقيّة القرآن، من أين لنا هذه النّظرة؟ من خلال النّصوص، كون أنّ لها فضل خاصّ.

فإذًا من الفضل الخاصّ لسورة البقرة:

- **أخذها بركة.**
- **لا تستطيعها البطلة.**
- **تُسَمّى هي وآل عمران "الزّهراوان".**

ماذا يُقصد بالزّهراوان؟ الزّهراوان من الإزهار، بمعنى: الضّوء.

- **يوم القيامة تأتي لصاحبها كالغمامة**، تظلّه.

من لطائف التّدبّر (١)

تذكرة النّفس دائمًا أثناء دراسة القرآن بمعنى الاحتساب.

لابدّ أن تتذكّر دائمًا وأنت تدرس القرآن: فضل كونه كلام الله، ثمّ إنّ كلّ سورة لها فضل خاصّ استذكره في أوّل دراستك، وهذا بالضّبط معنى الاحتساب.

ما معنى الاحتساب؟ أن تقول: (يا ربّ احسب لي هذه الدّراسة، هذا التّعلّم، هذا الحفظ، واجعلني آتي يوم القيامة وتكون سورة البقرة كالغمامة) فهذا فيه إشارة إلى أنّك:

- **مؤمن بيوم القيامة.**
- **مؤمن بأنّ هناك طريقًا للنّجاة يوم القيامة.**
- **مؤمن بأنّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– دلّنا على الطّريق للنّجاة.**

فإذًا ما هو المطلوب منّا؟ في كلّ مرّة تدرس فيها السّورة تستظهر الأدلّة الدّالّة على فضل هذه السّورة على الخصوص.

واجب عملي (١):

اذكر **دليلًا على فضل سورة البقرة**.

مراجعة ما قيل في اللّقاء الثّاني:

كنّا اتّفقنا على تقسيم سورة البقرة إلى كم قسم؟

مقدّمة وخاتمة و ٤ مقاصد.

المقدّمة من الآية (١) إلى الآية (٢٠).

مراجعة الآية (٢١) والآية (٢٢) في المقصد الأوّل من سورة البقرة

نبدأ من الآية (٢١) المقصد الأوّل، ما مضمون المقصد الأوّل؟ **دعوة النّاس إلى اعتناق الإسلام**.

من أين أتينا بدعوة النّاس؟ من الآية (٢١) في السّورة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} دعوة النّاس، إلى ماذا؟ إلى اعتناق الإسلام، إلى جعل الإسلام هو دينهم لأجل هذا قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} وجاءت الأدلّة الدّالّة.

ما هي الدّلالة في الآيتين (٢١_٢٢)؟

الدّعوة إلى توحيد الله ومناقشة الأدلّة الدّالّة على استحقاقه للألوهيّة.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} ثمّ بعد ذلك؟ {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} ما هي الدّلالة في الآيتين؟ الدّعوة إلى توحيد الله ومناقشة الأدلّة الدّالّة على استحقاقه للألوهيّة.

هذه الأدلّة دائرة حول براهين استحقاق الله للعبادة أنّه أوجدكم وأعدّكم وأمدّكم.

لمّا قال ربّنا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} معناها: أنّ الله –عزّ وجلّ– يستحقّ أن نعبده، هذا الأمر لأنّه أوجدنا وأعدّنا وأمدّنا، وهذه الأمور الثّلاثة ظاهرة عندك في الآيات.

هكذا انتهينا الآن من: الآية (٢١) والآية (٢٢) في سورة البقرة الّتي فيها:

⇐ **دليل دعوة النّاس إلى عبادة الله.**

⇐ **والدّليل على استحقاقه –سبحانه وتعالى– للألوهيّة.**

وهذا الدّليل فيه ثلاث كلمات:

١) **الإيجاد.**

٢) **والإعداد.**

٣) **والإمداد.**

مراجعة الآية (٢٣) في المقصد الأوّل من سورة البقرة

ما هي الدّلالة في الآية (٢٣)؟

الدّعوة إلى الإيمان بالكتب والرّسل لمعرفة الطّريق الموصل لعبادة الله:

قال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}.

الآية فيها ركنان: الإيمان بالرّسل والإيمان بالكتب.

{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ} ممّا نزّلنا –هذا الكتاب– على مَن؟ {عَلَىٰ عَبْدِنَا} يعني الرّسول.

والإيمان بالكتب والرّسل أتى بعد الإيمان بالله:

أوّلًا: ناداهم الله للإيمان ودلّهم على استحقاقه للعبادة.

ثانيًا: أتى أنّه من الواجب عليك أن تؤمن بالكتب والرّسل؛ لأنّهما السّبيل لعبادة الله.

إذًا هكذا أصبح عندي ركنين:

الرّكن الأوّل: الإيمان بالله.

الرّكن الثّاني: الإيمان بالكتب والرّسل. وهذان يكادان أن يكونا رُكنًا واحدًا، كون أنّ الرّسل أتت بالكتب وكون أنّ الكتب تدلّ على صحّة الرّسل.

الآن الرّكن الثّالث، أين ورد؟

مراجعة الآية (٢٤) والآية (٢٥) في المقصد الأوّل من سورة البقرة

ما هي الدّلالة في الآية (٢٤) والآية (٢٥)؟

الإخبار عن الجزاء الّذي هو الدّافع للعمل والعبادة والاستقامة:

قال تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} هنا الإيمان بالجزاء لأنّه الدّافع للعمل، للعبادة، للاستقامة.

الجزاء الآن أتى في الآيتين الّتي فيها الكلام عن الكفّار وعن تبشير المؤمنين، والقرآن كلّه مبنيّ على هذه الحقائق:

١. **الدّعوة إلى توحيده مع الأدلّة على استحقاقه للألوهيّة.**

٢. **الدّعوة للإيمان بالكتب والرّسل.**

٣. **الإخبار عن الجزاء.**

الآن انتهينا، فهذا الآن أوّل تأسيس للدّعوة، يعني هذا الجزء الّذي هو المقصد الأوّل من سورة البقرة: دعوة النّاس كافّة إلى اعتناق الإسلام، فأوّل ما تقولين: "دعوة النّاس كافّة" ما الّذي سيأتي في ذهنك؟ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}.

هكذا خمس آيات انتهينا منها: من الآية (٢١) إلى الآية (٢٥).

دراسة إجماليّة:

آيات المقطع الثّاني (٢٦_٢٩)

من المقصد الأوّل في سورة البقرة

مدارسة الآية (٢٦) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل

قرّرنا المرّة الماضية اعتقادنا في صفة الحياء لله بأنّها وردت مثبتة ووردت منفيّة:

سنبدأ في الآية (٢٦):

يقول الله عزّ وجلّ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}.

قرّرنا اعتقادنا في صفة الحياء لله، أنّها وردت مُثبتة ووردت مَنفيّة.

في الآية (٢٦) في سورة البقرة: الله –عزّ وجلّ– نفى عن نفسه الاستحياء من الحقّ وهو في حقّ الله يُعتبر كمالًا.

من لطائف التّدبّر (٢)

قاعدة (١): أيّ نفي عن الله فإنّه يتضمّن إثبات كمال الضّدّ.

تطبيق عملي للقاعدة (١): أقول الآية وماذا سأثبت؟

المثال الأوّل: الآية (٢٥٥) في سورة البقرة:

⇐ قوله تعالى: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}: هذا نفي، **سننفي**: السّنة والنّوم، **ونثبت**: كمال الحياة والقيّوميّة.

المثال الثّاني: الآية (٤٩) في سورة الكهف:

⇐ قوله تعالى: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}: هذا نفي، **سننفي**: الظّلم، **ونثبت**: كمال العدل.

المثال الثّالث: الآية (٣) في سورة الإخلاص:

⇐ قوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}: هذا نفي، **سننفي**: الولد والولادة، **ونثبت**: كمال الوحدانيّة وكذلك كمال الصّمديّة، فأنت تقولين: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ}[1] ثمّ تقولين: {لَمْ

(١) سورة الإخلاص: ١_٢.

يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} الصّفتان المنفيّتان: أنّك تنفي عن الله الولد والولادة، وماذا تثبتين؟ كمال الأحديّة وكمال الصّمديّة.

فإذًا بهذه الطّريقة لابدّ من الكمال لأنّ هذه هي فائدة النّفي، يعني أنت في آية الكرسي تقولين: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} بعد أن قلت: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ} فإذًا ماذا أضافت لك؟ فلو قلت: "نفي السّنة والنّوم وإثبات الحياة والقيّوميّة" لكن أنت كنت قد أثبتّها من الأوّل، فقد قلت: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} لكنّ النّفي يأتي لكي تُثبتي كمال المُثبت، يعني {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} معناها: له كمال الحياة وله كمال القيّوميّة، فلابدّ من الكمال.

فإذًا في كلّ مرّة تجدين نفيًا عن الله في القرآن، ماذا ستقولين؟ بعد أن تنفي، تُثبتين كمال الضّدّ –في الحقيقة هذه قاعدة من ذهب– وكلّ مرّة تقرئين في القرآن وتجدين نفيًّا لابدّ أن تقولي لنفسك: (هذا هو الّذي أعتقده).

وسنعيد على أنفسنا: يوم القيامة {إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}[1] {مَا فِي الصُّدُورِ} هو عقيدتك، {مَا فِي الصُّدُورِ} هو عمل القلب، فلابدّ أن تملأ الّذي في الصّدر من الاعتقاد.

من أهداف وفوائد الدّراسة الإجماليّة (١) المناسبات بين الآيات

معرفة المناسبات بين الآيات، وهو من علوم القرآن، يُقصد به الكلام السّهل الّذي نقوله: (ما هي علاقة الآية بما قبلها؟).

يقول الله عزّ وجلّ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}.

نحن متّفقون أن نبدأ بتقسيم الآية إلى مجموعة جمل.

الجملة الأولى: {إِنَّ اللَّهَ} {إِنَّ} هذا تأكيد {اللَّهَ} لفظ الجلالة سيكون هنا مبتدأ الكلام، ما خبره؟ {لَا يَسْتَحْيِي} من ماذا؟ {أَن يَضْرِبَ مَثَلًا} فهذه هكذا تكون جملة واحدة: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا} هكذا انتهيتِ من الجملة الأولى.

(١) سورة العاديات: ٩_١٠.

أكملي: {مَثَلًا مّا} إذًا {مّا} أين ستذهبين بها؟ هل ستجعلينها مع الجملة الأولى أم مع الثّانية؟ مع الجملة الأولى. {إِنّ اللّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مثلًا مّا} أنا لا أقصد الوقف الآن وإنّما أقصد استظهارك للمعنى؛ فأنت الآن تنفين عن الله أنّه يستحي من {أَن يَضْرِبَ مثلًا مّا} هذا هو الّذي تنفيه: {مَثَلًا مّا}. سيأتي نموذج {مَثَلًا مّا} ماذا ستقولين؟

الجملة الثّانية: {بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}.

{بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} هذه توضيح لِـ {مَثَلًا مّا} فإذًا انتهينا.

من لطائف التّدبّر (٣)

الفاء تقول لك: بأنّ ما بعدها مترتّب على ما قبلها.

{فَأَمّا} الفاء تفيد التّرتيب، تقول لك: بأنّ ما بعدها مترتّب على ما قبلها. كأنّك تقول: بسبب ضرب المثل فإنّ النّاس انقسموا، أو لمّا الله ضرب الأمثال انقسم النّاس.

من أهمّ العلوم وأنت تقرئين القرآن أن تعرفي معاني الحروف لأنّ الحروف هي الّتي فيها السّرّ.

{فَأَمّا} سينقسم النّاس الآن إلى كم قسم؟ {فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا} هذه كلّها جملة واحدة {فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنّهُ الْحَقُّ مِن رّبِّهِمْ} فهذه كلّها جملة واحدة لكن نفس هذه الجملة مقسومة إلى قسمين:

فإذًا ستقولون: {فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنّهُ الْحَقُّ مِن رّبِّهِمْ} وانظروا هنا فإنّها كذلك جاءت فاء جديدة {فَيَعْلَمُونَ أَنّهُ الْحَقُّ مِن رّبِّهِمْ} يعني ترتّب على إيمانهم علمهم أنّه {الْحَقُّ مِن رّبِّهِمْ}. انتهينا الآن من هذه الجملة.

وجاءت كذلك الواو الّتي هي للتّقسيم الآن: {وَأَمّا الّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا}.

تقسيم الآية (٢٦) إلى ٦ جمل:

الجملة الأولى: {إِنّ اللّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مثلًا مّا}.

الجملة الثّانية: {بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}.

الجملة الثّالثة: {فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنّهُ الْحَقُّ مِن رّبِّهِمْ}.

الجملة الرّابعة: {وَأَمّا الّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا}.

فإذًا في الأوّل المؤمنون ثمّ بعد ذلك الكافرون.

لمّا دخلنا على وصف المؤمنين جاءنا حرف الفاء {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} فلمّا جئنا نتكلّم عن الكافرين جاءنا حرف الواو {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا}.

الجملة الخامسة: الآن سيأتي تقرير جديد عن النّوعين: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا}.

الجملة السّادسة: وتأتي الجملة الخاتمة للآية {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}.

هذه الجملة السّادسة متعلّقة بالجملة الخامسة لأنّه: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} يأتي بعد ذلك التّقرير للبيان: يضلّ من؟ {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}.

صارت الآية ٦ جمل، من خلال تقسيمك للآية بيّني لي من خلال الآية أنّه: {لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[1]؟

أخبر –سبحانه وتعالى– أنّ من أفعاله أنّه يضلّ، فقد يتعلّق بها النّاس فيقولون: (أضلّنا الله) ويمكن أن يأتيكم أحدهم يقول: (ربّنا لم يهدني بعدُ) !

فنقول: إنّ الله قال: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} فجعل –سبحانه وتعالى– مبدأ السّبب لفعله من قبل العبد، يعني البداية من عند العبد، بمعنى: أنّ العبد لو استقام، لو طلب الحقّ سيهتدي بالقرآن؛ أمّا كونه فاسق ماذا ستكون النّتيجة؟ سيُضَلّ! سيحصل له الضّلال!

دائمًا يأتي الإشكال في فعل الهداية والضّلال! يعني كثير من النّاس حين لا يكون صادقًا في طلب الهداية يقول لك: (ربّنا ما هداني) تقولين لها: (افعلي كذا) تقول لك: (عندما يهديني الله) نقول: الهداية تبدأ من عند العبد يعني يطلبها العبد فيكافئه الرّبّ بالهداية.

أعطوني أدلّة أخرى تدلّ على هذا الاعتقاد:

الدّليل الأوّل: الآية (١٧) في سورة محمد:

⟸ {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}.

{اهْتَدَوْا} من الّذي بدأ؟ هُمْ.

{زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} من عند ربّ العالمين.

(١) سورة الكهف: ٤٩.

الدّليل الثّاني: الآية (٥) في سورة الصّفّ:

⇐ {فَلَمّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}.

{زَاغُوا} من؟ هُمْ.

الجزاء؟ {أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}.

هذا فعلهم وهذا فعل الله.

الدّليل الثّالث: الآية (٧٥) في سورة مريم:

⇐ {مَن كَانَ فِي الضّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرّحْمَٰنُ مَدًّا} هو ابتدأ ثمّ بعد ذلك أتاه الجزاء.

من لطائف التّدبّر (٤)

قاعدة (٢): جعل –سبحانه وتعالى– مبدأ السّبب لفعله من قبل العبد.

فهذه القاعدة مهمّة جدّا لا تُخرجها من عقلك أبدًا! ولا تجعل الشّيطان –الّذي هو سبب الإشكال– يشبّه عليك في هذه المسألة، صغارًا أو كبارًا فالمسألة واحدة في هذه القضيّة أنّ الإنسان تزلّ قدمه ثمّ يقول: (ربّنا ما هداني)!

المناسبة بين الآيات

ما هي المناسبة بين مطلع السّورة وبين سياق آيات المقطع الأوّل (٢١_٢٥)؟

بيان أنّ الوصول للتّقوى يكون بعبادة الله ومناقشة الأدلّة الدّالّة على استحقاقه للألوهيّة:

حاولوا أن تتذكّروا مطلع السّورة والرّبط بينها وبين هذه الآيات الّتي مرّت معنا سابقًا؟

أنت قرأت في بداية السّورة: {الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ}[1] الكتاب {لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى} لكن لمن؟ {لِّلْمُتّقِينَ}.

(١) سورة البقرة: ١_٢.

الله –عزّ وجلّ– لمّا قال لهم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} دعاهم إلى ماذا؟ أليس هناك كلمة تقوى؟ اقرئي الآيات مرّة ثانية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(١). إذا اتّقيتم ماذا ستكون النّتيجة؟ ستهتدون بالكتاب، يعني الآن هذه الآيات مرتبطة بأوّل السّورة.

ارجعي للآية (٢١) في كرّاستكم ثمّ ضعي دائرة على: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} إشارة إلى أنّها مرتبطة بأوّل السّورة، أي أنّ الآية (٢١) فرع على الآية (٢) الكتاب {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}.

كيف أصل أن أصير تقيّة لكي أهتدي بالكتاب؟ {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} تصل أن تكون تقيّا إذَا عبدت الله. وبعد ذلك نُوقشوا في الأدلّة الدّالّة. وهكذا انتهينا.

ما هي العلاقة بين الآية (٢٦) وبين مطلع السّورة الآية (٢)؟

الآيات فيها تنزيه للتّنزيل عن أن يتعلّق به أدنى ريب من جهة ما وقع فيه من ضرب الأمثال بعد نَفي مُطلق الرّيب:

لازلنا نبحث عن الاهتداء بالكتاب، كن تقيّا لكي تهتدي بالكتاب. الكتاب ما هو وصفه؟ الكتاب وصفه أنّه: {لَا رَيْبَ فِيهِ}.

ما هو الرّابط بين الآية (٢) {لَا رَيْبَ فِيهِ} وبين الآية (٢٦)؟ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}؟ معناه: أنّ ربّنا في بداية السّورة قال: {لَا رَيْبَ فِيهِ} فنفى الرّيب والشّكّ فأيّ طعن في الكتاب لا يكون بحقّ، هنا في ماذا طعنوا؟ طعنوا في طريقة القرآن في ضرب الأمثال.

- الآيات فيها تنزيه للتّنزيل عن أن يتعلّق به أدنى ريب من جهة ما وقع فيه من ضرب الأمثال بعد نَفي مُطلق الرّيب:

أين نُفي مُطلق الرّيب؟ في الآية (٢) {لَا رَيْبَ فِيهِ} مُطلقا، وهنا الكلام عن مسألة خاصّة وهي: الأمثال، يعني الآيات هنا لتنزيه التّنزيل عن أن يتعلّق به أدنى ريب، ليس فيه أيّ ريب ولو كان في إعابتهم الأمثال. هكذا ربطنا بالآية (٢).

(١) سورة البقرة: ٢١.

ربط الآية (٢٦) بسياق آيات المقطع الأوّل (٢١_٢٥):

في الآيات السّابقة تحدّاهم الله أن يأتوا بمثله ما استطاعوا فبدؤوا يطعنون في الكتاب ويقلّلون منه من خلال الطّعن في الأمثال:

لكن هل الأمثال بنفسها يُطعن فيها؟ يعني ضرب الأمثال أليس من الكمال؟ حين تضربين الأمثال معناها أنّك تقرّبين الشّيء الصّعب بكلام سهل، لكنّهم عابوا أن تُضرب الأمثال بأشياء حقيرة، مثل: البعوضة هنا ومثل ما ورد: العنكبوت، الذّباب، فهم رأوا أنّ ربّ العالمين يتعالى أن يتكلّم عن العنكبوت أو الذّباب. وأنت تعرفين أنّ ضرب الأمثال كمال، يعني الّذي يضع المثل في مكانه من البشر يُعتبر حكيمًا مهما كانت صورة المثل.

فإذًا هذه الآية متعلّقة بأوّل السّورة ومتعلّقة بالسّياق السّابق مباشرة.

زيادة إيضاح معاني جمل الآية (٢٦)

تصوّري هذه العقيدة أنّه يمكن أن يُضَلّ أحد بالقرآن والسّبب في النّاس:

إنّ الّذي يريد أن يتزكّى ويصل إلى الكمالات النّفسيّة لابدّ أن يكون هو من يجتهد:

- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} هذه واضحة.
- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ} هذه واضحة.
- {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا} هل هذه الجملة واضحة؟

ماذا يعني {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا}؟ هل حقيقة هم لم يفهموا؟ لا، إنّما يقصدون التّقليل من شأن المثل وإظهار أنّ المثل لا قيمة له!

- النّتيجة: الله -عزّ وجلّ- يقول: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} الضّمير هنا عائد على المثل أو القرآن عمومًا.
- {وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} نفس الأمر: عائد على المثل أو القرآن عمومًا.

وتصوّري هذه العقيدة: أنّه يمكن أن يُضَلّ أحد بالقرآن! هذا شيء صعب تصوّره! فنحن نتصوّر أنّ أيّ أحد سيقرأ القرآن سيهتدي مباشرة! لأنّ ربّنا يقول: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} سواء كان المثل أو القرآن فالنّتيجة واحدة لأنّ الأمثال مضروبة في القرآن!

فإذًا أنت الآن تعتقدين بناء على الآية أنّه ممكن أن يأتي القرآن فيُضلّ بعض النّاس! من السّبب؟ النّاس؛ لأنّ صارت هذه الآية أمام {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} فهناك لأنّهم متّقون اهتدوا وهنا لأنّهم فاسقون ضلّوا، فصارت المشكلة في العبد!

ونحن كنّا قد اتّفقنا المرّة الماضية على: أنّ القرآن هدى للنّاس وهدى للمتّقين:

- **هُدًى للنّاس بنفسه.**
- **وهُدًى للمتّقين**، يعني هؤلاء هم المنتفعون.

أمّا غيرهم فيمكن أن يكون القرآن {عَلَيْهِمْ عَمًى}[1].

فأنت الآن: لا تقولي: (أنا أحفظ القرآن!) أو تقولي: (أنا جرّبت حفظت القرآن ولم أخرج بنتيجة! ولم أجد الهداية) العيب فينا! العيب في العبد! يعني الّذي يريد أن يتزكّى ويتحسّن ويصل إلى الكمالات النّفسيّة لابدّ أن يجتهد! فلا يتصوّر أنّ الهدى سيأتيه من الخارج هكذا!

لأنّ كلّ النّاس متّفقون على أنّ الوصول إلى الكمالات المادّيّة لا يتمّ إلّا بالاجتهاد، فلا يكون أحد قد نجح بامتياز إلّا ويكون مجتهدًا، ولا يكون أحدًا مستثمرًا وقد نمّى تجارته إلّا ويكون مجتهدًا، هذا القانون الإنساني المعروف أعظم منه الكمالات الإنسانيّة النّفسيّة، يعني التّزكية، الرّقيّ النّفسي الّذي هو أساسك أن تكون صاحب روح زاكية، هذا جهد عظيم لابدّ أن تقوم به! وكلّما رأى الله منك جهدًا في تزكية نفسك زادك وأعطاك.

وأمّا أن تظنّ بأنّك تجلس وتنزل عليك التّزكية كما ينزل الوحي على الرّسل! تكون بهذا لم تفهم المسألة؛ القرآن يدلّك، وأنت تأخذ به، فالله –عزّ وجلّ– ينزّل عليك من البركات بسبب أخذك للقرآن.

مازال مقصدنا أن نفهم الآيات فهمًا إجماليّا. إذًا انتهينا من الآية وعرفنا رابطها بما سبق –الحمد لله–.

(١) سورة فصّلت: ٤٤.

لا تفكّروا بأنّ ربط الآية بما سبق يكون فقط مع الآية السّابقة مباشرة، إنّما بالسّياق، ولا مانع في أن تربطي بالآية السّابقة وهناك من العلماء من ربطها بالآية السّابقة مباشرة، لكن في الأصل أن تنظري للسّياقات، ثمّ إنّ هذا أدقّ أنّك تجدين رابطًا واضحًا بينها وبين الآية الّتي تسبقها.

مدارسة الآية (٢٧) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل

الآية (٢٧) متعلّقة بالآية السّابقة في تعداد صفات {الْفَاسِقِينَ}:

ستأتي الآية التّالية مباشرة مرتبطة بالآية السّابقة مباشرة:

يقول الله عزّ وجلّ: {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.

إذًا هذه الآية فيها وصف لمن؟ إذا وجدت {الَّذِينَ}: فهو اسم موصول، فإذًا هي صفة، بيان، بيان لمن؟ {الْفَاسِقِينَ} الّذين أتى ذكرهم في الآية السّابقة، عدّي لي صفاتهم:

- {يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ}.
- {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ}.
- {وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}.

{أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} هذا حكم عليهم بأنّهم: {الْخَاسِرُونَ}.

إذًا معنى ذلك: الآية (٢٦) ابتدأت بصورة من صور نفي الرّيب عن القرآن، وأتى في الآية تقسيم النّاس تجاه القرآن إلى قسمين: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} وَ {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}، حُكم على {الَّذِينَ كَفَرُوا} بأنّهم {الْفَاسِقِينَ} ثمّ أتت صفاتهم في الآية (٢٧) {يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}.

مدارسة الآية (٢٨) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل

اجعل هناك رابطًا من الآية (٢٨) إلى الآية (٢٧) إلى الآية (٢٦):

الكافرون الّذين يُضَلُّونَ بالقرآن سمّاهم الله {الْفَاسِقِينَ}:

الآن سنرى الآية (٢٨) ونرى علاقتها بما قبلها:

يقول الله عزّ وجلّ: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ} من المخاطبين؟ {الْفَاسِقِينَ} الّذين حُكم عليهن في الآية (٢٦) بأنّهم: كافرين.

صار عندنا تبادل بين اسمين هما: الفسق والكفر: من الآية (٢٦) أخبريني كيف حصل التّبادل؟

- {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} هكذا بدأنا بأنّهم كفّار {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} ما بهم؟ {فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} هم الكافرون. فإذًا الكافرون الّذين يُضَلُّونَ بالقرآن سمّاهم الله {الْفَاسِقِينَ}، {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} يعني الكافرون سُمّوا {الْفَاسِقِينَ}، كيف عرفنا؟ لأنّ الكافرين هم الّذين ضلّوا والله -عزّ وجلّ- أخبرنا أنّه: {مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} فسمّى الكافرين فاسقين.
- الآية (٢٧) الّتي بعدها أخبرت عن صفات {الْفَاسِقِينَ} الّذين هم أصلًا الكافرون.

هل رأيتم كيف حصل التّبادل؟ الكافرون هم {الْفَاسِقِينَ} فسقوا: يعني خرجوا، ماذا كان فعلهم؟ كفروا.

- جاءت الآية (٢٨) تقول: يا أيّها {الْفَاسِقِينَ} {كَيْفَ تَكْفُرُونَ}، فهؤلاء {الْفَاسِقِينَ} هم الّذين كفروا فقيل لهم: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ}.

فإذًا الآيات تامّة التّرابط، كأنّنا ما زلنا عند: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} إلى هنا ونحن مازلنا نتناقش معهم.

من لطائف التّدبّر (٥)

لكي تذوقي شيئًا من بلاغة القرآن

انظري كيف حصل التّرتيب في التّقسيم؟

قُدّم ذكر المؤمنين على الكافرين ثمّ أتت كلّ الآيات من بعد تناقش هؤلاء الكافرين:

ربّنا قال: {فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا} ابتدأ بالّذين آمنوا، {فَيَعْلَمُونَ أَنّهُ الْحَقُّ مِن رّبِّهِمْ} وتُرك {الّذِينَ آمَنُوا}.

ثمّ انظري كيف ابتدأ النّقاش؟ {وَأَمّا الّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مثلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمّ يُمِيتُكُمْ ثُمّ يُحْيِيكُمْ ثُمّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

فأنت أبدًا لا تخطئي فتبدئي بالكافرين قبل المؤمنين لأنّك تعرفين بأنّ كلّ النّقاش الّذي أتى من بعد سيكون على الكافرين، فقُدّم المؤمنون في النّقاش ثمّ أتى الكلام عن الكافرين.

تقسيم الآية (٢٨) إلى ٣ جمل:

- الجملة الأولى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} سؤال استنكاري، يعني يُستَنكر عليهم أنّهم يكفرون! فلا ينتظر منهم إجابة.
- الجملة الثّانية: {ثُمّ يُمِيتُكُمْ ثُمّ يُحْيِيكُمْ}.
- الجملة الثّالثة: {ثُمّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

فإذًا واضح بأنّ النّقاش متّصل بما مضى، لن تنسي أبدًا أنّ {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} مُتعلّقة، ومن الآية (٢٦) {إِنّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي} وإلى الآية (٢٨) والسّياق واحد واضح.

مدارسة الآية (٢٩) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل

تقسيم الآية (٢٩) إلى ٤ جمل:

يقول الله عزّ وجلّ: {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمّ اسْتَوَىٰ إِلَى السّمَاءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

- الجملة الأولى: {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}.
- الجملة الثّانية: {ثُمّ اسْتَوَىٰ إِلَى السّمَاءِ} هذا تقرير.
- الجملة الثّالثة: {فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ}.

الجملة الرّابعة: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

ما هو الرّابط بين هذه الآية والآية السّابقة؟

لو كنت أنتظر جملة قبل: {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم} سأقول من الآية السّابقة: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} وَ {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}:

ما هي علاقته بما مضى؟ يعني لو كنت تنتظرين جملة قبل: {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم} ماذا ستقولين من الآية السّابقة؟ ضعي لي جملة:

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ} وَ {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} يعني

الآية (٢٨) تفيد دلالة الإيجاد والآية (٢٩) تفيد دلالة الإعداد:

الآية الأولى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ} أنتم {أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمّ يُمِيتُكُمْ ثُمّ يُحْيِيكُمْ ثُمّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} هذا الإيجاد.

الآية الثّانية: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} وَ {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمّ اسْتَوَىٰ إِلى السّمَاءِ فَسَوّاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} هذا الإعداد.

نفس الأمر، كأنّنا رجعنا مرّة ثانية للكلام الّذي كان في الدّعوة الأولى:

فأوّلًا: {يَا أَيُّهَا النّاسُ} كانت الدّعوة الأولى.

ثمّ بعد ذلك أتت مناقشة ثانية: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} و {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم}،

و{كَيْفَ تَكْفُرُونَ} وهو أعدّ لكم هذه الأرض {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} يعني {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} بمن فعل لكم كلّ هذه الأفعال؟

الآيتان (٢٨_٢٩) متعلّقتان بالكفّار الّذين هم {الْفَاسِقِينَ}.

فصارت كذلك هاتان الآيتان متعلّقتان بالكفّار، الّذين هم مِن {الْفَاسِقِينَ}. فإذًا هكذا أكملنا تقسيمها.

دراسة إجماليّة:

آيات المقطع الثّالث (٣٠_٣٩)

من المقصد الأوّل في سورة البقرة

مدارسة آيات المقطع الثّالث (٣٠_٣٩) من المقصد الأوّل

ما مناسبة قصّة آدم مع ما سبق؟

تعلّق القصّة ببداية الخلق بقوله تعالى: {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم} فـ {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} وهو الّذي ابتدأكم بالخلق وأرسل لكم الرّسل وكرّمكم وفعل لكم!

انتهينا الآن من هذا وابتدأنا بقصّة آدم، ما هي مناسبة قصّة آدم بما سبق؟

تعلّقوها بأيّ شيء؟ بقوله تعالى: {هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُم} يعني بداية الخلق، كأنّك تعلّقينها بـ {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} سنرجع لأوّل الكلام:

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ} وهو الّذي ابتدأكم بالخلق وأرسل لكم الرّسل وكرّمكم وفعل لكم...كلّ الّذي سنسمعه في سورة البقرة.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)}.

مرّت معنا من عند {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ} نعمة الإيجاد والإعداد ثمّ أتت نعمتان عظيمتان في قصّة آدم متّصلتان بالإيجاد وهما نعمة التّكريم ونعمة التّعليم:

بسم الله، سنبدأ الآن من أوّل الكلام عن القصّة ونربطه بما سبق:

لمّا قال الله عزّ وجلّ: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} مُستنكرًا عليهم كفرهم نبّههم على نعمه سبحانه وتعالى.

مرّ معنا ذكر نعمة الإيجاد، في قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

وأيضا نعمة الإعداد: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

الآن تأتي قصّة آدم لكي تقول: هناك نعمة عظيمة جدّا أُنعم بها على العباد، وهي: نعمة التّكريم ونعمة التّعليم.

هكذا صارت ٤ نِعم: من عند {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ}:

النّعمة الأولى: **الإيجاد**.

النّعمة الثّانية: **الإعداد**.

النّعمة الثّالثة: **التّكريم**.

النّعمة الرّابعة: **التّعليم**.

والتّكريم والتّعليم متّصلتان بالإيجاد:

نعمة التّكريم: أنت ما وُجدت مثلما وُجدت البهائم وإنّما وُجدت من سُلالة مُكرّمة.

نعمة التّعليم: ما تُرك لك الأمر لكي تتعلّم ولكي تجتهد إنّما علّمك الله.

وهذا ينسف كلّ النّظريّات الّتي تتكلّم عن أنّ الإنسان مرّ بعصور كان فيها لا يتكلّم ولا يعرف يتعلّم! لأنّ فعل التّعليم لآدم نُسب لله عزّ وجلّ: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}.

أ_ نعمة التّعليم: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ} وَقد خلقكم خِلْقَةً مُكرّمة وعلّمكم تعليمًا رقّاكم عن غيركم ممّا خلق الله:

دعونا بهذه الصّورة ندخل على القصّة: بأنّها مناقشة للنّاس الّذين يكفرون بالله، فيقال لهم: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} وَ {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ} وَقد:

⇐ خلقكم خِلْقَةً مُكرّمة.

⇐ وعلّمكم تعليمًا رقّاكم عن غيركم ممّا خلق الله.

ب_ نعمة التّكريم: الإنسان هو المخلوق الوحيد الّذي خُلقت له الأشياء ولا يوجد كائنات فضائيّة ولا غيره لأنّ كلّ هذا الكلام يقال لكي يُشتّتك عن خصوصيّة التّكريم:

من خلال قصّة آدم سننفي عدّة أمور ونظريّات

الجواب على النّظريّة سهل ولكن ما يشغلنا هو أن نكوّن اعتقادًا صحيحًا في المسألة:

فنحن الآن بسبب القصّة سننفي عدّة أمور ونظريّات:

سنبدأ بنفي ما يُسمّونه بنظريّة دارون، هي نظريّة على كلّ حال وكلام باطل! ولابدّ أن تعرفوا بأنّ هذه النّظريّات توضع -بغضّ النّظر الآن عن بدايتها- فليست مشكلة بدايتها! وليست مشكلة قصّة صاحبها! وإنّما المشكلة: لماذا تُنشر وتُشهر؟ فقط هذه هي المشكلة! وإلّا فإنّ هناك خرافات كثيرة في الكتب ليس لها نهاية! لكن لماذا تُنشر مثل هذه القصص؟ لأنّه مثل هذه القصّة إذَا نُشرت كانت جوابًا على سؤال لو أجبت عليه صحيحًا ستؤمن!

ما هو هذا السّؤال؟ السّؤال: من أين أتيت؟ هذا سؤال مهمّ: من أين أتيت؟ فأنت لو أجبته إجابة صحيحة ستؤمن بأنّ ربّك خلقك لأنّه قال: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} لكنّهم يقولون لك: (لا! كنت ميّتًا وكنت خليّة حقيرة! ثمّ بعد ذلك أنت تطوّرت بنفسك)!

فَـ {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ} الجواب: لا يجب أن تكفر بالله، لكن بناء على نظريّة دارون ماذا سيكون؟! لن تؤمن بالله أصلًا!

فإذًا ما هي هذه النّظريّة؟ نظريّة التّطوّر والنّشوء!

نظريّة التّطوّر والنّشوء هذه تقول بأنّ الإنسان خُلق من خليّة حقيرة! يعني كان لا شيء! وبعد ذلك أصبح خليّة واحدة! ثمّ بعد ذلك انقسمت هذه الخليّة وتطوّرت إلى أن بلغت صورة القرد! ثمّ تطوّر وتطوّر إلى أن أصبح إنسانًا!

حسنًا، هذه الخليّة من أين جاءت؟! ومن أتى بها إذَا كان الأمر بهذه الطّريقة؟!

طبعًا هم عندهم إجابات على هذه الأسئلة، وليس مهمًّا أن ندخل في تفاصيل كلامهم، وإنّما المهمّ أن تعرفي: أنّ هذه بمثابة الحجّة الّتي تُسكت النّاس حين يقولون: (يجب عليكم أن تؤمنوا بالله؛ لأنّكم من أين أتيتم؟ ربّنا أوجدكم) فهم يقولون: (لا! ربّنا ما أوجدنا وإنّما نحن تطوّرنا)!

والجواب على هذه النّظريّة سهل جدّا، في نفس العلم الحديث، خاصّة إذَا قلت: (والقرود الباقية لماذا لم تتطوّر؟! لماذا هم بقوا كما هم؟! ثمّ لماذا نحن وصلنا أن نكون إنسانًا ولم نتطوّر أيضًا؟! لماذا لم نتطوّر بعد هذا؟!)

وكلام أسهل من هذا ممكن أن نقوله، وكلّما طرحوا كلامًا؛ لأنّه باطل فإنّه بسهولة ممكن أن تردّي عليه! لكن ليس هذا الّذي يشغلنا! وإنّما يشغلنا أن نكوّن اعتقادًا صحيحًا لأنّه ليست فقط هذه الشّبهة الّتي ستبقى! وإنّما ستخرج هذه الشّبهة وتأتي شبهة غيرها!

لأنّه رغم أنّ شبهة دارون ما انتهوا منها فالنّظريّة دائرة ومازالت موجودة وتُدرّس!

لكن أتوا لنا باختراع جديد! قالوا لنا: الكون انفجر! وبعد ذلك تكوّنت الأرض! ثمّ بعد ذلك جاء الإنسان من الغبار الكوني! يعني أنت قليل من الغبار! هذا الّذي يريدون أن يقولوه! وليس أنت الإنسان الّذي خلقه ربّنا! لا! لا! أنت قليل من الغبار! الغبار الكوني خلقك!

كلام لا يُقبل! لكن أنت تتعجّبين أنّ هناك أناس عاقلون ويقبلونه! ودائمًا مشكلة النّظريّات الّتي تتّصل بالكون! أنّهم يربطون في داخلنا مشاعرًا أنّ التّقدّم والتّطوّر التّقني مُرتبط بفلسفة الوجود! يعني النّاس الّذين وصلوا للطّائرات والسّيّارات لابدّ أن يكونوا ابتدأوا باعتقاد أنّ الإنسان أصله قرد!

وهذا ليس صحيحًا! لأنّ أناس مثل الصّينيّون، هؤلاء لا ملّة ولا دين! وثنيّون ومع ذلك فإنّهم تقدّموا في مجال الدّنيا!

فأنت لا تربطي بين الاثنين، فلا تقولي: (النّاس وصلوا إلى القمر! ونحن لازلنا نقول ربّنا خلق آدم!). اعتقاداتك هذه ليست حاجزًا عن التّطوّر، واعتقاداتهم الباطلة الفلسفيّة ليست سببًا للتّطوّر!

فلا بدّ أن تفصلوا بين التّطوّر التّقني والفلسفة الوجوديّة.

الفلسفة الوجوديّة: هي الّتي تقول من أين أتيت؟ إلى أين المصير؟ ومن ثمّ ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

أين تكمن المشكلة؟ حين يشوّشونك: من أين أتيت؟! سيشوّشون عليك: إلى أين أنت ذاهب؟! يعني إذَا لم يكن الله هو الّذي خلقك فإذًا ليس إليه المصير!

فإذًا بعد ذلك ما الّذي يحصل؟ ما الّذي يجب عليّ أن أفعله هنا؟ ما دمت لا تعرف: من أين أتيت؟! ولا إلى أين المصير؟! فإذًا افعل الّذي تريده! فهم لا يأتون إليك يقولون: (افعل الّذي تريده! وامش على هواك! وَ {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا}(١) هكذا مباشرة! لا! وإنّما ينسفون القضيّتين الأساسيّتين: من أين أتيت؟ وإلى أين المصير؟

إذَا أنت عرفت من أين أتيت؟ وإلى أين المصير؟ فلن تكفر وإنّما ستقوم بما يجب عليك:

أخبروني: هل تناقشنا في كتاب الله (من أين أتيت؟ وإلى أين المصير؟) نعم، والآيات الّتي مرّت علينا فيها إجابة لهذا السّؤال:

- {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} هل رأيتم كيف أنّ الكلام واضح تمامًا؟! {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا} يعني لم تكونوا موجودين! {فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فإذَا أنت تعرفين من أين أتيت؟ وإلى أين المصير؟ فلن تكفري، وإنّما ستقومين بما يجب عليك.

ولذلك دائمًا يتكرّر قوله تعالى: {وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} دائمًا تُقال هذه الكلمة: {حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}(٢).

{لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} وبعد ذلك في المقابل: {إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} مهمّ جدّ أن تعرفي أنّ: {إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.

العقائد ليست السّبب في التّطوّر التّقني الّذي هو إعمار الأرض إنّما هو حقّ لكلّ مجتهد:

الآن التّفكير الّذي يقول لك: (بأنّ النّاس تقدّموا! وهم قد تعلّموا هذه الفلسفة!)! أنت ماذا تقولين؟ تقولين: (الفلسفة الوجوديّة لا علاقة لها بالتّطوّر التّقني) يعني أنت تكونين مسلمة وقابلة للتّطوّر التّقني، وأناس وثنيّين وقد تطوّروا تقنيًا، وأناس يؤمنون بنظريّة دارون وقد تطوّروا تقنيًا، وأناس يعتقدون أنّه ليس هناك إلّا الحياة الدّنيا وقد تطوّروا تقنيًا، فهذا التّطوّر التّقني الّذي هو إعمار الأرض ليس له علاقة أبدًا بالفلسفة الوجوديّة إنّما هو حقّ لكلّ مجتهد، فكلّ من يجتهد ويجتهد يجد الدّنيا.

فلا تعتقدوا بأنّ العقائد هي السّبب في التّطوّر التّقني، فالتّطوّر التّقني شيء منفصل.

(١) سورة الأنعام: ٢٩.

(٢) سورة غافر: ١_٣.

كلّما صحّت اعتقاداتنا حسُنت أخلاقنا:

كذلك هناك شيء مهمّ وهو: كلّما صحّت اعتقاداتنا حسُنت أخلاقنا، ومن ثمّ فإنّك لو عرفت بأنّك مكرّمة، وأنّ الله أسجد الملائكة لأبيك آدم وأنت من نسله، فإنّ إحساسك بالكرامة يمنعك من أن تلقي بنفسك في التّهلكة، يمنعك من -الله يحفظنا ويحفظ الشّباب جميعًا- المخدّرات وغيره من هذه الأشياء الّتي تجعل الإنسان في السّفول! يعني أنت مكرّمة، من نسل مكرّم، الله -عزّ وجلّ- سخّر الكون لك، فهذا كلّه يدعوك إلى أن تستقيمي.

فإذًا انتهينا من هذا التّفكير وفهمنا بأنّنا -الحمد لله- نعرف من أين أتينا، وإلى أين المصير، وأيّ نظريّة مثل نظريّة دارون الّتي تقول لك بأنّ النّاس قد تطوّروا من أصل إلى أصل جوابها:

- {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ}.
- {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}.

يعني كلّ قصّة آدم وتفاصيلها الّتي فيها التّكريم والتّعليم، تقول لك: هذا الكلام باطل.

نفي نظريّة الكائنات الفضائيّة هذه النّظريّة الحديثة الّتي تبحث عن الحياة في غير الأرض! ما هي عقيدتنا في المسألة؟

كلّ الأدلّة تدلّ على أنّ الله -عزّ وجلّ- خلق الأرض وهيّأها وخلق الكواكب لأسباب أخرى هي آيات ودلالات على عظمته:

يلحق نظريّة دارون نظريّات حديثة تبحث عن الحياة في غير الأرض! وهؤلاء يقولون: (ممكن أن نجد حياة في المرّيخ! وممكن أن نجد في الفضاء كذا! وكذا! وهناك كائنات فضائيّة! وهبطت كائنات فضائيّة على الأرض!) وكلّ هذه التّخاريف الّتي تقول: (ربّنا خلق أحدًا آخر غير آدم وذرّيّته وغير الأرض)! وهذا باطل! السّبب أنّ كلّ هذه الأدلّة تدلّ على أنّ الله -عزّ وجلّ- خلق الأرض وهيّأها وخلق الكواكب لأسباب أخرى: {وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[1] آيات ودلالات على عظمته.

كلّ الأدلّة تدلّ على أنّه ليس هناك مخلوق خُلق وقد سُخّرت له الأشياء إلّا ابن آدم:

(١) سورة النّحل: ١٦.

لكن ليس هناك حياة إلّا في هذه الأرض وليس هناك مخلوق خُلق وقد سُخّرت له الأشياء إلّا ابن آدم، والباقي كلّه إنّما هو من الأطروحات الّتي تشبه أطروحة دارون.

دخول هذه الأفكار عليكم سواء من الاعتقاد في الكائنات الفضائيّة، أو هناك حياة في غير الأرض، هذا من نقص الاعتقاد السّليم، حلّه:

- **أن تعتقدي اعتقادًا سليمًا.**
- **وأن تستغفري عمّا مضى.**

لكن سأقول لكم شيئًا: هل تعرفون لماذا يوحون لكم بأنّ هناك كائنات فضائيّة وهناك كذا! لأنّهم لا يستطيعون أبدًا أن يقاوموا في داخلهم أنّ هناك أشياء غيبيّة! وأنّه لابدّ أن يكون هناك عالمًا غيبيًّا!

لكن أنت تعرفين بأنّ هناك الملائكة، وهناك الشّياطين والجنّ، تعرفين بأنّ هناك عالمًا غيبيًّا، وهم يريدون أن يقنعوا أنفسهم! ففي داخلهم يقولون: هناك شيء غيبيّ! ويريدون غيبًا لا مسؤوليّة من ورائه ولا تكاليف! فماذا يفعلون؟! يأتون لك بهذه الخرافات: يقولون لك: (كائنات فضائيّة هبطت إلى الأرض! رأيناها! لاحظناها!) وكلّ الكلام الّذي تسمعه! ثمّ بعد ذلك يجعلونك تعيشين في الخيال العلميّ! لدرجة أنّك أنت المسكينة تصبحين لا تعرفين كيف تفرّقين بين الحقيقة والخيال! وهكذا يكون الإنسان قد فقد قدرته على التّمييز! وإذَا فقد قدرته على التّمييز لن يفعل شيئًا في الدّنيا! مادام لم يعرف من أين بدأ؟ وإلى أين المصير؟ لن يعرف في الوسط ماذا عليه أن يفعل؟! يكفي أن يضيع ولا يدري مَن هو؟ فليس شرطًا أن تثبت في عقلك هذه الفكرة لكن يكفي أن تصير وكأنّك في دوّامة لا تدري من أنت بالضّبط؟! فإذًا انتهينا من هؤلاء الاثنين.

نفي الخرافات مثل خرافة العصر الحجري! ما هي عقيدتنا في المسألة؟

لابدّ أن تعرفي أنّ هناك كلامًا متناقضًا فلا يمكن أن تقبلي أيّ فكرة قبل أن تعرضيها هل هي تخالف ما تعتقدين أم لا!

كذلك نأتي إلى بعض الخرافات مثل: العصر الحجري!

يقصدون أنّ الإنسان أتى عليه عصر من العصور وكان لا يعرف شيئًا ولا يعرف يتكلّم. يعني لو كانوا يقصدون بأنّه يستعمل الحجارة في كلّ أعماله فهذا ليس فيه مشكلة! وإنّما يقصدون بأنّه لا يعرف يتكلّم ولا يعرف يتواصل ثمّ بعد ذلك تعلّم بنفسه وصار يعرف يتكلّم وجاءت اللّغة وكلّ شيء!

الآن بكلّ سهولة أخبريني من قصّة آدم الّتي قرأناها الجواب على هذا الكلام؟ {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}.

رغم أنّكم تحفظون وتستدلّون! لكن في عقلكم أنّ الإنسان مرّ بعصر حجريّ! فهذه مشكلة! هل المعلومات كلّ واحدة في درج؟ أم أنّها متداخلة مع بعضها؟!

لا هذا! ولا ذاك! وإنّما لابدّ أن تكون مرتّبة بحيث أنّك تقولين لنفسك: (أنا أعتقد بأنّني سألقى ربّي، وأنا أعتقد أنّه خلق آدم –سبحانه وتعالى– وأنّه كرّمه، وأسجد له الملائكة، وعلّمه، ولم يُهبطه إلى الأرض إلّا وقد أعدّه تمام الإعداد للقيام بالوظيفة) وإلّا فإنّك بهذا ستقولين: (إنّ ربّنا ظلمنا)! وأنت تعتقدين بأنّ ربّنا لا يظلم أحدا!

فإذًا لابدّ أن تعرفي أنّ هناك كلامًا متناقضًا! فلا يمكن أن تقبلي أيّ فكرة قبل أن تعرضيها هل هي تخالف ما تعتقدين أم لا!

مدارسة آيات قصّة آدم

لماذا جُعلت قصّة آدم أوّل قصّة في ترتيب المصحف؟

لكيلا تحتاري ولا تبحثي فمباشرة يُجيبك أنت من أين أتيت؟ فتعرفي أنّك قد كُرّمت وعُلّمت ولك هذه المكانة وأنّك أتيت من هذا النّسل الّذي كرّمه الله وعظّمه!

سنبدأ الآن في القصّة حيث أنّ فيها الإجابة على أشياء كثيرة جدّا، لكن هناك سؤال مهمّ جدًّا هنا: لماذا وردت قصّة آدم كأوّل قصّة في ترتيب المصحف؟ هذا من الأشياء العجيبة؛ لكي يجيبك: أنت من أين أتيت؟ فلا تحتاري! ولا تبحثي! مباشرة يُجيب عليك: أنّك قد كُرّمت وعُلّمت ولك هذه المكانة، وأنّك أتيت من هذا النّسل الّذي كرّمه الله وعظّمه.

طبعا الشّيء الثّاني: الشّيطان! –وإن شاء الله– الأسبوع القادم نتكلّم عن المسائل المتّصلة بالشّيطان، والاعتقادات الباطلة الّتي طرحوها لنا عن الشّيطان! وعبدة الشّياطين وكيف خرجوا علينا خلاف ما نعتقد في السّورة، نسأل الله أن يكفينا الشّر.

تقسيم الآية (٣٠) إلى ٤ جمل:

الجملة الأولى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}.

الجملة الثّانية: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} هذا وصف لمن اعتقدوا أنّ الله سيجعله فيها فيفعل هذا.

الجملة الثّالثة: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}.

الجملة الرّابعة: أجابهم الله: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

إذًا بداية القصّة أنّ الله –عزّ وجلّ– أخبر الملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} {خَلِيفَةً} يخلف بعضهم بعضًا، يأتون خَلف بعضهم، وراء بعضهم.

وأتى جواب الملائكة: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} السّؤال هنا: من أيّ خلفيّة قالوا هذا؟ من أين أتوا بهذا؟ وفي المقابل هم يقولون: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} كذلك لدينا إشكاليّة أنّهم: لماذا يقولون عن أنفسهم هكذا ويقولون عن بني آدم هذا الشّيء؟ ثمّ قال لهم ربّ العالمين: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

تقسيم الآية (٣١) إلى ٣ جمل:

ثمّ نأتي للآية (٣١): {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}.

{أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {وَعَلَّمَ} إذًا فالمسألة متّصلة واضحة، الله يعلم وعلّم الله آدم {وَعَلَّمَ آدَمَ} ماذا؟ {الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} وهنا لابدّ أن يكون هناك سؤال استفهام تجيبون عليه في المدارسة التّفصيليّة: ما هو المقصود بالأسماء كلّها؟

{ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ} عَرض ماذا؟ {الْأَسْمَاءَ} كيف عَرض الأسماء على الملائكة؟ نعم عرض المُسمّيات {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ} طيّب سنرى فهذا كذلك سؤال استفهامي المفروض تجيبون عليه في التّفصيلي، والأسبوع القادم نتناقش مع بعض.

{ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ} ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ الكلام موجّه للملائكة.

الجملة الأولى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}.

الجملة الثّانية: {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ}.

الجملة الثّالثة: {فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} هذه كلّها جملة واحدة.

تقسيم الآية (٣٢) إلى ٣ جمل:

الجملة الأولى: ثمّ جوابهم الآن: {قَالُوا سُبْحَانَكَ} أوّل شيء: {سُبْحَانَكَ} لوحدها فهذه جملة {قَالُوا سُبْحَانَكَ}.

الجملة الثّانية: ثمّ بعد ذلك وصفوا أنفسهم: {لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}.

الجملة الثّالثة: {إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}.

ما هو موقف الملائكة عندما أمرهم الله بالسّجود لآدم؟

سألت الملائكة سؤال مصدره تعظيم لله:

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} هل استفهموا؟ هل استنكروا؟ انتبهي! فأنت ستتكلّمين عن الملائكة الّذين لهم أوصاف الكمال عند ربّ العالمين.

أحسن تعبير إلى الآن أنّك تقولين: (سألوا سؤال المتعجّبين) لكن أن تقولي: (معترضين)! هذا خطأ!

هناك أحد قال كلامًا جميلًا: هذا سؤال مصدره تعظيم الله لأنّهم ماذا يريدون؟ انظروا في سورة الشّورى، الله -عزّ وجلّ- يقول: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ}(١) ليس مثلما في غافر {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}(٢).

{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ} ما هو المعنى؟ من معانيها في التّفسير: أنّهم يستغفرون لمن في الأرض بسبب تعظيمهم لربّ العالمين، يعني أهل الأرض يقعون في المنكرات مسلمهم وكافرهم، وأهل السّماء يعظّمون الله، ويبغضون المعاصي؛ فيستغفروا لمن في الأرض تعظيمًا لله، تصوّري حين تكونين معظّمة لربّ العالمين، ويأتي أحدهم مثلًا يقول لك: (دعوت ربّنا وما استجاب) تقولين: (أستغفر الله! الله يغفر لك! كيف تعتقد في ربّنا هكذا؟!) أنت الآن غضبتِ لله؛ لأنّه لم يعظّم الله، فطلبت من الله أن يغفر له.

إذًا الملائكة ما بها؟ {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} في غافر، {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ} في الشّورى.

---

(١) سورة الشّورى: ٥.

(٢) سورة غافر: ٧.

الآن حين تسمعين كلامهم هذا؛ تعرفين أنّ سؤالهم ناتج عن تعظيم الله، بدليل أنّهم قالوا: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} فإذًا انتهينا من هذا وأنّ السّؤال سؤال تعظيم وليس اعتراض.

فإذًا لمّا أخبرهم الله بأنّه {جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} ماذا تقولين؟ سألوا سؤال تعظيم لله.

الآن ماذا سنقول: سنقول هذا السّؤال سؤال تعظيم لأنّهم قالوا: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} إذًا هذه الآية الأولى، وقال الله عزّ وجلّ: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

وبعده الله –عزّ وجلّ– {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ} وبعده الملائكة ماذا قالت؟ {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} اعترفوا بعلم الله.

انتهينا الآن من الكلام عن الملائكة، في الآية (٣٢).

تقسيم الآية (٣٣) إلى ٤ جمل:

سيأتي الكلام عن آدم {قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ} إذًا هذه هي الجملة الأولى، ما هو الجواب بعد ذلك؟ {فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ} الله عزّ وجلّ: {قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} هذه جملة، ثمّ بعدها: {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}.

إذًا كلّ هذا السّياق فيه إثبات علم الله، وآدم علّمه الله وهو –سبحانه وتعالى– {الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}.

تقسيم الآية (٣٤) إلى ٣ جمل:

بعدما ظهرت مكانة آدم أمر الله –عزّ وجلّ– الملائكة بالسّجود.

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ} يعني في هذه الحالة ماذا فعلوا؟ {اسْجُدُوا لِآدَمَ} هذه جملة واحدة {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} هذه جملة واحدة، ثمّ بعد ذلك أتت الفاء: {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} هذه جملة.

كذلك ستجعلها جملة بطريقة أخرى: ستبدئين الجملة الّتي من بعدها من عند إبليس، فالآن لدين جملة تقول: {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} الجملة الجديدة: {إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

انتبهوا: أنا لا أتكلّم عن علامات الوقف، ولكن أريد أن أفهم فقط:

⇐ فأنت تقولين: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} فهذا أمر الله.

⇐ ماذا كان يقابلها؟ {فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ} هذه جملة.

⟸ ستبدئين الكلام من جديد: {إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

هكذا انتقلنا من الملائكة إلى إبليس، بمعنى: ما الّذي أتى بخبر إبليس في قصّة آدم؟ امتناعه عن السّجود!

طبعا هنا ستأتي أسئلة كثيرة:

- ما هو اجتماع إبليس مع الملائكة؟
- ماذا تعتقدين في إبليس؟

واجب عملي:

إلى الأسبوع القادم –إن شاء الله– ماذا ستفعلون؟

- تجمعون كلّ المواطن الّتي ورد فيها الكلام عن الشّيطان، سواء بلفظة الشّيطان أو بلفظة إبليس، من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، وتعالوا بالآيات، نريد جدولًا فيه السّورة ورقم الآية مكتوبة كاملة.

ربّي يجمعنا على خير.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء الرّابع: الخميس ٢٤ المحرّم ١٤٤٠ هـ

"مراجعة المقصد الأوّل (٢١_٣٩)"

مراجعة مقدّمة قصّة آدم (٢١_٢٩)

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكّلنا على الله، نبدأ بمقصدنا، وهو: **"دراسة سورة البقرة"** وكنّا قد وصلنا المرّة الماضية إلى:

- الكلام حول قصّة آدم: بهذا نكون انتهينا من المقدّمة في السّورة وبدأنا في المقصد الأوّل.
  - أوّل جملة في المقصد الأوّل الآية (٢١): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}.
  - ما هو المقصد الأوّل: دعوة النّاس كافّة لاعتناق الإسلام.

أثناء نقاشنا في قصّة آدم –عليه السّلام– تبيّن لنا أنّ القصّة أتت شاهدًا على تكريم الإنسان، وأنّ الواجب بعد تكريم الإنسان أن يُشكر ربّ العالمين.

سنرى كيف أنّ هذا واضح في القصّة؛ لأنّ القاعدة في القصّة القرآنيّة أنّها تأتي شاهدًا على موضوع السّورة.

من لطائف التّدبّر (١)

القصّة القرآنيّة تأتي شاهدًا على موضوع السّورة

أي: تكون السّورة لها معنى والقصّة تؤيّد هذا المعنى.

المفترض أن يكون لدينا في ذهننا أمثلة كثيرة على هذا، فاعتبريها قاعدة، وفي كلّ مرّة تقرئين قصّة قرآنيّة لابدّ أن يكون عندك هذا السّؤال: هذه القصّة شاهد على أيّ شيء؟

مثلا القصص في سورة الشّعراء مقصدها: بيان أنّ الله –عزّ وجلّ– ناصر المؤمنين مزيل الكافرين؛ فجاء في السّورة ٧ قصص عن الأنبياء ابتداء بموسى –عليه السّلام– وكلّها كانت تنتهي بقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[1] فتشهد على موضوع السّورة، ما هو موضوع السّورة؟ أنّ الحقّ بيّن وأنّ الله ناصر المؤمنين مزيل الكافرين، فصارت كلّ قصّة لا يأتي منها إلّا الّذي يدلّ على هذا أنّ هناك آية بيّنة وأنّ الّذي كفر بهذه الآية البيّنة ربّنا سيزيله وينصر المؤمنين.

(١) سورة الشّعراء: ٨_٩.

فتصير السّورة لها موضوع والقصّة شاهد على الموضوع. وحين تكون السّورة طويلة تأتي فيها قصص، كلّ قصّة فيها شاهد على جزء من معنى جاء في السّياق.

قصّة آدم شاهدة على موضوع السّورة

ما هي مناسبة قصّة آدم مع مقدّمة القصّة الآيات (٢١_٢٩)؟

من الآية (٢١) إلى الآية (٢٥): دعاهم إلى الإيمان وذكر {خَلَقَكُمْ}:

هذا سيجعلنا نرجع نقول: قصّة آدم شاهدة على أيّ معنى؟ تكريم الإنسان، لكن كيف ظهر لنا؟ سنبدأ الآن من الآية (٢١) مرّة أخرى، وننظر لها على أساس أنّها مقدّمة للقصّة.

هذا الجزء من الآية (٢١) إلى الآية (٢٤) كان دائر حول:

- **استحقاق الله للعبادة لأنّ الله –عزّ وجلّ– أوجدنا وأعدّنا وأمدّنا.**
- **وكذلك أسعدنا بإرسال الرّسول وإنزال الكتاب.**
- **وأتى الكلام عن الجزاء في ضمن ذلك.**

إذًا لمّا دُعي النّاس كافّة للإيمان، الله –عزّ وجلّ– أظهر الأدلّة الدالّة على أنّه مستحقّ للألوهيّة.

وأهمّ دليل بدأ به: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}.

{الَّذِي خَلَقَكُمْ} لا تنسوا هذه لأنّها ستبقى معنا.

لمّا انتهينا في الآية (٢٥) من هذا السّياق وقد أخبرنا الله –عزّ وجلّ– على استحقاقه للألوهيّة بكونه خلقنا، أوجدنا وأعدّنا وأمدّنا وأسعدنا بإرسال الرّسل وإنزال الكتب، وكلّمنا أيضا عن الجزاء الّذي سيترتّب بعد ذلك من هذا.

من الآية (٢٦) إلى الآية (٢٩): استنكر عليهم الكفر وذكر {فَأَحْيَاكُمْ}:

ثمّ أتت الآية (٢٦) الّتي فيها: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً} النّقاش في الآيات (٢٦_٢٩) للّذين يشكّكون في استحقاق الله للألوهيّة، سواء:

شكّكوا في ذلك بأنّهم شكّوا في الكتاب؛ لأجل هذا قال ربّنا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً}.

أو كفروا بالآيات؛ ولذلك قيل لهم: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

- إذًا هناك من الآية (٢١) إلى الآية (٢٥): عرض ودعوة للإيمان، يدعوهم إلى الإيمان.
- من الآية (٢٦) إلى الآية (٢٩) على ماذا احتوى هذا النّقاش؟ احتوى على لومهم على عدم الإيمان: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ} هذا استنكار عليهم.

إذًا دعاهم إلى الإيمان: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}.

وبعد ذلك استنكر عليهم الكفر: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ}.

من لطائف التّدبّر (٢)

موعظة بليغة: أوّل شيء استعينوا بالله في قلوبكم ثمّ فكّروا

فكّري الآن: دعاهم للإيمان، قال لهم: {الَّذِي خَلَقَكُمْ} استنكر عليهم الكفر، قال: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا} ثمّ بعد ذلك تأتي قصّة آدم. ما هي العلاقة؟

{خَلَقَكُمْ} {فَأَحْيَاكُمْ} نبّه إلى أنّه ما أوجدكم أيّ إيجاد إنّما كرّمكم بهذا الإيجاد:

ماذا ستكون العلاقة؟ لمّا دعاهم إلى الإيمان قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} وبعد ذلك لمّا أنكر عليهم عدم الإيمان، قال لهم: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ}.

يعني {خَلَقَكُمْ} {فَأَحْيَاكُمْ} نبّههم على أصل القصّة الّتي فيها تكريم، يعني لم يخلقكم أيّ خلقة! ولم يُحييكم أيّ حياة! ما أوجدكم أيّ إيجاد إنّما كرّمكم بهذا الإيجاد كما تقرأ في قصّة آدم.

يعني قصّة آدم أتت تحكي ما هو أصل الخليقة. لكن ليست هذه المرّة الوحيدة الّتي حُكي فيها أصل الخليقة، فأنت تجدين قصّة آدم قد تكرّرت في القرآن ٧ مرّات، جاءت في سورة البقرة وجاءت في سورة الأعراف وغيرها، لكن في سورة البقرة كان المقصود منها: إظهار تكريم بني آدم، في مقابل أنّه في سورة الأعراف كان لها مقصد آخر تمامًا خلاف هذا المقصد، وإن شاء الله ييسّر لكم ربّكم تقرؤوا في الأعراف ما هو المقصود من ورود قصّة آدم.

لو تريدين قول جملة مفيدة ستربطين الآية (٢١) والآية (٢٨) بالآية (٣٠) ماذا ستقولين؟ الآية (٢١) لمّا دعا الله النّاس كافّة للإيمان، وجعل سبب ذلك أنّه خلقهم، ولمّا استنكر عليهم الكفر وجعل سبب الإنكار أنّه أحياهم، ألم يقل في الآية (٢٨): {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ}؟

حكى لهم قصّة آدم الّتي تدلّ على تكريمه لهم، الآن أنت عندك طرفان:

- طرف أنّه -سبحانه وتعالى- أوجب عليهم التّوحيد.
- وطرف استنكر عليهم الكفر.

جاءت القصّة تقول: لا يصلح أن تكفروا! عيب عليكم أن تكفروا! يجب عليكم أن تؤمنوا! لماذا؟

لأنّه لم يحيكم أيّ حياة ولم يخلقكم أيّ خلقة! إنّما كرّمكم بهذا الخلق؛ لأنّ الله لمّا خلق الأرض والسّماء، وخلق الشّجر والحجر لم يُخبر الملائكة، متى قال للملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}؟ لمّا خلق آدم؛ **فأنت من هذه الجملة في الابتداء تفهمين أنّ: القضيّة تكريم!** كون الملائكة الكرام يُخبرون عن هذا الكريم الّذي سيأتي.

من لطائف التّدبّر (٤)

معنى ورود {وَإِذْ} في القرآن

ولذلك انظري أوّل جملة في القصّة {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ} {وَإِذْ} في القرآن تأتي بمعنى: واذكر هذا الحدث العظيم. فإذًا ماذا ستكتبون على: {وَإِذْ}؟ يعني اذكر هذا الحدث العظيم.

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ} يعني اذكر هذا الحدث العظيم، إشارة إلى التّكريم.

فإذًا لن تغيب عنّا: الآية (٢١) والآية (٢٨):

- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} "الخلق" دليل استحقاق الله للألوهيّة.
- {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} استنكر عليهم الكفر بسبب إحياءهم.
- ثمّ بعد ذلك أخبرهم أنّ هذا الخلق وهذا الإحياء مُكرّم.

سنتابع سويّا التّكريم، لكن لن ننسى الكلام عن الشّيطان.

من لطائف التّدبّر (٥)

عموما القصّة القرآنيّة فيها أحداث وشخصيّات وأزمنة:

أيّ قصّة قرآنيّة لابدّ أن يكون فيها: أحداث، شخصيّات، أزمنة.

نحن نعرف الآيات وقد مرّت عليكم، دعونا نقول الشّخصيّات الّتي اشتركت في هذه القصّة:

١) **الملائكة.**

٢) **آدم عليه السّلام.**

٣) **إبليس.**

يعني ربّنا في هذه القصّة أخبرنا:

- أنّ الملائكة لهم دور في القصّة.
- وأنّ القصّة دائرة حول آدم.
- وأتى إبليس أصبح له أحداث أيضًا هنا معنا سنراها.

قصّة آدم –عليه السّلام–

الجزء الأوّل خاصّ بالأحداث مع الملائكة ودلالاتها على تكريم آدم عليه السّلام

من الآية (٣٠) إلى الآية (٣٤)

الحدث الأوّل للتّكريم: إخبار الله –عزّ وجلّ– الملائكة بخلق آدم وأنّه جاعل في الأرض خليفة يخلف بعضهم بعضًا.

الحدث الثّاني للتّكريم: موقف الملائكة وردّهم.

الحدث الثّالث للتّكريم: أمر الله –عزّ وجلّ– لآدم بالإنباء.

الحدث الرّابع للتّكريم: عرض المسمّيات على الملائكة وحصول الاختبار لهم.

الحدث الخامس للتّكريم: أمر الله –عزّ وجلّ– لآدم بالإنباء.

الحدث السّادس للتّكريم: أمر الملائكة بالسّجود.

- مبحث موقف الملائكة وردّهم في قصّة آدم وتقرير مجموعة حقائق.

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (٣٠) ودلالاتها على التّكريم

أوّل حدث في قصّة آدم في الآية (٣٠): {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} إخبار الله –عزّ وجلّ– الملائكة بخلق آدم وأنّه جاعل في الأرض خليفة يخلف بعضهم بعضًا.

الدّلالة الأولى على التّكريم في الحدث الأوّل: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ} إعلام الملائكة الكرام دليل على التّكريم والخصوصيّة لآدم.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}(١).

أوّل حدث لابدّ أن تذكره لأنّه آتٍ في سياق تكريمك:

- الحدث الأوّل: إخبار الله –سبحانه وتعالى– للملائكة أنّه: {جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}.

{خَلِيفَةً} يعني آدم خُلق، والباقي الّذين في الأرض كيف سيأتون؟ هل كلّ أحد سيأتي في الأرض سيخلقه الله؟ سيخلقه الله لكن ليس بنفس الطّريقة إنّما سيخلف بعضهم بعضًا.

أين الدّلالة على التّكريم؟

- إعلام الملائكة الكرام دليل على التّكريم والخصوصيّة لآدم.

لأنّك سمعت بأنّ الله خلق السّماوات وخلق الأرض لكن لم تسمعي أبدًا في أيّ مخلوق أنّ الله أعلم الملائكة إلّا آدم، طبعًا هناك سبب لإعلام الملائكة:

أوّلًا: يدلّ على تكريم الله –عزّ وجلّ– له.

ثانيًا: ثمّ بعد ذلك ستكون الملائكة بالنّسبة للإنسان الحارسة، ستكون بالنّسبة للإنسان العاملة، إلى أن تصل أن تكون للإنسان المؤمن المستغفرة، أليس حملة العرش ومن حوله {يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}(٢)

إذًا معنى ذلك: فإنّ نفس الإخبار للملائكة إنّما هو دليل على التّكريم؛ لأنّه حين يكون هناك حدث مهمّ ويُخبر بها الملائكة الكرام يدلّ على ماذا؟ على أنّ هذا الحدث مهمّ مادام أُخبر به الكرام.

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة غافر: ٧.

إذًا هذه أوّل فائدة استفدنا بها: أنّ الله –عزّ وجلّ– أخبر الملائكة بهذا الشّأن دليل على التّكريم.

الدّلالة الثّانية على التّكريم في الحدث الأوّل: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} أنّ الله –عزّ وجلّ– خلق ما في الأرض لهذا الخليفة وأنّه في سنّته الكونيّة جعل بني آدم يستخلف بعضهم بعضًا.

الحدث الثّاني: أنّ الله –عزّ وجلّ– أخبرنا أنّه جاعل في الأرض خليفة يخلف بعضهم بعضًا.

الدّلالة على التّكريم: أنّ الله –عزّ وجلّ– في سنّته الكونيّة جعل بني آدم يستخلف بعضهم بعضًا، يعني الدّلالة تبدأ من أنّ هذه الخلافة من تكريم الله لهم فإنّه سبحانه أعدّ لهم وأمدّهم؛ وقال تعالى في الآية (٢٩) الّتي قبل القصّة مباشرة: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} إذًا هم خُلفاء: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} {الْأَرْضِ} الأرض الّتي خلقها {لَكُم} لأنّه في الآية: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم} ما قيل في الآية (٢٩) "خلق الأرض" وإنّما قيل لنا: {خَلَقَ لَكُم} {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}.

إذًا {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} أين التّكريم؟

⇐ الدّلالة على التّكريم: أنّ الله –عزّ وجلّ– خلق ما في الأرض لهذا الخليفة، وأنّه يخلف بعضهم بعضًا.

فأنت الآن تنظرين للكون الموجود حولك على أنّه خُلق {لَكُم}.

خُلق {لَكُم} من أجل أداء المهمّة المطلوبة منكم؛ ولذلك إذَا أتى أحدهم يقول لكم: (أنا أحزن على الحيوانات ولا أريد أن آكلها؛ ولأجل ذلك أنا نباتي)! ماذا ستجيبينه؟ ستقولين له: إنّ الله {خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} فلا تتفلسف! لأنّك في الأصل لو فهمت جيّدًا ستعرف أنّه ما أن يسمّي الذّابح: "بسم الله" على صفحة عنق المذبوحة إلّا وهي ترضخ مباشرة، ما هو السّبب؟ استشهدي بالآية {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} وكما في سورة النّحل: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ}[1] ليس من أجل أن ترعى ثمّ تموت أو ترعى ثمّ يعبدونها.

فإذًا أصبح لديك دليل واضح على فساد هذه الأفكار!

(١) سورة النّحل: ٥.

الحدث الثّاني في قصّة آدم في الآية (٣٠): {قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ} موقف الملائكة وردّهم إذْ {قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا} فوصفوا بني آدم بصفتين: أنّه {يُفۡسِدُ} {وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ}:

الدّلالة على التّكريم في الحدث الثّاني: في جواب ربّ العالمين {إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ} أخبر –سبحانه وتعالى– بالإجمال أنّ آدم سيكون له مكانة خيريّة.

دعونا نرى موقف الملائكة الآن: لكن قبل أن نقول ماذا قالوا، دعونا نتذكّر الملائكة الكرام ومكانتهم قبل أن تظنّي فيهم أيّ ظنّ.

ولا تنسي حديث النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– عن كثرتهم في السّماء، وعن عِبادتهم: فالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– قال: (أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ) (أَطّتِ) بمعنى: أصدرت صوتًا، من الشّيء الثّقيل، مثل الجمل حين يسحب من الآبار الحمولات الثّقيلة فيخرج صوتًا، فهذا هو حال السّماء من ثُقل ما عليها (أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ)[1] هذا يدلّ على:

- كثرتهم.
- واجتماعهم كلّهم على عبوديّة الله.

مبحث موقف الملائكة وردّهم في قصّة آدم وتقرير مجموعة حقائق في موطن البقرة (٣٠_٣٤)

ما هي الحالة الحقيقيّة للملائكة؟

التّقرير الأوّل: الحالة الحقيقيّة للملائكة أنّهم عِبادُ الله يَتَشَرّفُونَ بهذه العبادة يحبّون الله ويحبّون تنزيه الله عن كلّ نقص.

فأنت في البداية لابدّ أن تفهمي حالتهم الحقيقيّة، حالهم أنّهم:

- عِبادُ الله يَتَشَرّفُونَ بهذه العبادة.

(١) أخرجه التّرمذيّ (٢٣٣٩).

يحبّون الله ويحبّون تنزيه الله عن كلّ نقص.

واعلمي أنّك حين تقولين: (سبحان الله، والحمد لله) فهذا القول هو حياة الملائكة، فإنّ الملائكة لا تأكل ولا تشرب لكنّها تحيا بذكر الله.

من الأمور اللّطيفة الّتي نذكرها في هذا المقام: أنّ في حديث أسماء –رضي الله عنها– الّذي فيه خبر عن آخر الزّمان حين يأتي الدّجّال، فإنّ الجماعة المؤمنة في آخر الزّمان يأتي عليها من الغمّ والهمّ والجوع ما يأتي! حتّى أنّه في آخر ثلاث سنوات للدّجّال: الأرض تحبس ثلث خيراتها في أوّل سنة من هذه الثّلاث سنوات، والسّماء تحبس ثلث خيراتها! والسّنة الّتي بعدها تحبس الثّلث الثّاني! والسّنة الّتي بعدها تحبس الثّلث الثّالث! يعني تأتي السّنة الثّالثة فلا يجدون ماءً! ولا طعامًا!

فتسأل أسماء –رضي الله عنها– الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: (فَمَا يُعِيشُ النّاسُ فِي ذَلِكَ الزّمَانِ؟ قَالَ التّهْلِيلُ، وَالتّكْبِيرُ، وَالتّسْبِيحُ، وَالتّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطّعَامِ)[1] أي أنّ الجماعة المؤمنة في آخر الزمان سيعيشون على الّذي تعيش عليه الملائكة: تعيش على التّسبيح والتّكبير. **لابدّ أن تتصوّروا هذا لكي تتصوّروا الكلام الّذي ستقولونه الآن:** يعني هي تعيش في الحياة وبالنّسبة لها الّذي يمدّها بالقوّة أنّها: تسبّح وتكبّر وتهلّل وتعبد الله فهذه هي حياتها، تحبّ الله وهذه هي حياتها.

فلابدّ أن تشعري: بأنّها تخاف أن يأتي أحد فيتعدّى على الذّات الإلهيّة، تقع منه الذّنوب والمعاصي في حقّ الله؛ ولذلك فإنّك تجدين في الحواميم سواء كان في غافر حين تسمعين عن الملائكة: {يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}[2] أو في الشّورى أنّهم: {يَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ}[3] كلّ هذا من كثرة غيرتهم على تعظيم الله، فهم يغيرون وليس يكرهون بني آدم؛ إذَا كان بنو آدم مؤمنين فإنّهم يستغفرون لهم، وفي الشّورى هناك قول قويّ للعلماء يوافق ظاهر الآية: أنّهم يستغفرون لكلّ من في الأرض كافرهم ومسلمهم: لعَلّ المسلم يعود عن الذّنب ولعَلّ الكافر يهتدي للإسلام. كلّ هذا غَيْرَةً على حقّ الله.

الآن نأتي للحدث الثّالث:

الحدث الثّالث: ردّهم، ماذا كان ردّهم؟ {قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا} في الأرض {مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ} وصفوه بصفتين: أنّه {يُفۡسِدُ} {وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ}.

(١) أخرجه ابن ماجة (٤١٠٩).

(٢) سورة غافر: ٧.

(٣) سورة الشّورى: ٥.

ما مورد قول الملائكة؟

أكيد أنّكم هنا سيأتيكم سؤال: من أين لهم الخبرة السّابقة؟ يعني من أين لهم أن يعرفوا بأنّ ابن آدم سيكون على هذه الحالة؟ هذا في الأصل ما جاءنا عنه أيّ خبر صحيح؛ يعني من أين للملائكة أن يعرفوا هذا الشّأن؟ مهما تكلّم المفسّرون في الآية، في النّهاية ما عندنا خبر صحيح من الكتاب، ولا من السّنّة.

فنحن سنعتبر الاعتبار الأوّل وسنقول: إنّ هذا من المتشابه المتّصل بالإيمان بالغيب، فنقف حيث أوقفنا الله.

ومهما تكلّم المتكلّمون عن السّبب، في النّهاية أنت لا تقبلي إلّا الدّليل الصّحيح، أو على الأقلّ الاستنباط القويّ الّذي دليله واضح؛ لكن لا هذا موجود ولا هذا موجود؛ ففي النّهاية نحن نعرف أنّ أكيد هناك سبب جعلهم يظنّون هذا الظّنّ؛ لأنّه ظنّ موافق للحقيقة: أليس الّذين في الأرض الآن يفسدون فيها ويسفكون الدّماء؟ بلى، لكن كيف عرفوا؟ -الله أعلم- فإنّ هذا نعتبره من المتشابه الحقيقي.

من لطائف التّدبّر (٦)

حين تجد المتشابه في القرآن اسلك مثل سلوك {ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ} في آل عمران {يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا} فما دام أنّه من عند ربّنا فأكيد أنّه حقّ!

لا تتصوّري أنّ العقل يعرف كلّ شيء بكلّ دقّة! بل هناك أمور سيقف فيها يقول: {ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا}.

التّقرير الثّاني: أوّل شيء فإنّك ستقولين: (من المؤكّد أنّ لهم موردا، هذا أكيد! فهم لن يَخْرُصُوا[1] ولن يكذبوا).

التّقرير الثّالث: الله أعلم بسبب قولهم ذلك.

التّقرير الرّابع: ستقولين: (نحن آمنّا وَقَبِلْنَا ما أخبرنا الله به).

(١) شرح المعجم الوسيط: خَرَصَ، خَرْصًا: كَذب.

إذًا دعونا نرى ما دلالة التّكريم في هذه الجملة؟ هم ماذا قالوا؟ {قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} ماذا أجاب ربّ العالمين؟ {قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ}.

⇐ إذًا التّكريم في جواب ربّ العالمين، يعني أعلم عنهم ما لا تعلمون أنتم عنهم، وسيكون من هؤلاء قوم لا يسفكون الدّماء ولا يفسدون في الأرض، وهذا يعني أنّه إن كان هناك من يفعل هذه الأفعال فإنّ هناك من لا يفعل.

ماذا نعتقد في قول الملائكة؟

التّقرير الخامس: قول الملائكة أتى من باب تعظيم الله والغيرة على حرمات الله فظنّوا أنّه من الحكمة ألّا يكون في الأرض مَن هذه حالته خاصّةً وهم يخافون أن يكونوا مقصّرين فقالوا: {وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ}.

⇐ يعني قولهم هذا: {وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ} يعني (هذا الفعل منّا فهلّا قبلته منّا، وما خلقت أحدًا يفسد في الأرض ويسفك الدّم) وهذا كلّه غيرةً على حقّ الله!

ومن أجل أن تتصوّروا فإنّه حين يكون الإنسان شديد الإيمان، ويجد أناسًا يقعون في المحرّمات؛ فإنّه في وقت يكره هؤلاء النّاس، وهذا من البراءة! وفي وقت يقول في نفسه: (يا ليت ربّنا يأخذهم كلّهم ويموتون!) بُغضًا لهم وليس بُغضًا لِما يفعلون في حقّ الله.

دائما يأتينا سؤال: لماذا ربّنا لا يُهلك الكافرين؟ لماذا لا يخسف بهم الأرض ويريحنا منهم؟ ويريحنا من ذنوبهم ومعاصيهم؟ ألا تأتي هذه المشاعر للإنسان؟ فهذه المشاعر تأتي للإنسان المؤمن وليس المغترّ بهم فإنّ المغترّ بهم يريد أن يبقوا! لكن الّذي في قلبه إيمان يكرههم، ويكره معاصيهم، ويكره ما هم عليه من الكفر، خاصّة لو سمع سبّ الله! -والعياذ بالله- ولو سمع الشّرك! فيقع في نفسه: أنّه يا ليت ربّنا يخسف بهم الأرض فيذهبوا ونستريح! ويبقى فقط الإيمان فلا يوجد الكفر! فإنّ هذا الّذي في نفسك هو نفسه الّذي في نفس الملائكة! لأنّ الملائكة تقول: (لا! يا ربّنا، لا تجعل في الأرض أحدًا يفسد ويسفك الدّماء) لماذا يقولون هكذا؟ غيرة على حقّ الله؛ مثلما يأتي أهل الإيمان غيرة على الإيمان فيتمنّوا أن يهلك الكفر ويهلك أهل الكفر!

ومع ذلك فإنّك حين تقولين: (يا ليت ربّنا يهلك أهل الكفر) نقول: لا! فإنّ الله يعلم ما لا تعلمون! هناك حكمة عظيمة من بقائهم. تقولين: (لكنّهم يتسلّطون! ويتمرّدون! ويفعلون!) نقول: الله يعلم ما لا تعلمون!

حين تقرئين قصّة فرعون وترين كيف أنّها امتدّت سنين وهو يفعل هذا الفعل! في قلبك تقولين: (يا ربّنا اخسف به! وننتهي من أوّل الأمر!) لكن يُقال لك: (الله يعلم ما لا تعلمون) أفعاله كلّها حكمة، لكن كلامك هذا ومشاعرك هل هي صادرة من الاعتراض على ربّ العالمين؟ لا! من الغيرة.

فإذًا ممكن المواقف تشبه بعضها في الظّاهر لكنّ مصدرها يكون مختلفًا! فالمؤمن بالله الّذي عنده غيرة على دين الله قد يشبه من لا يؤمن بالله؛ في كونه كأنّ ظاهر كلامه الاعتراض! لكنّهم ما كان قصدهم الاعتراض أبدا؛ وإنّما يقصدون تعظيم جناب الرّبّ سبحانه وتعالى.

⇐ فإذًا أين التّكريم في هذه الجملة؟ {قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ} من أنّه سيكون من خلق آدم وذرّيّته خير كثير.

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (٣١) ودلالاتها على التّكريم

تقسيم الجمل في الآية (٣١):

الجملة الأولى: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا}.

الجملة الثّانية: {ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ}.

الحدث الثّالث في قصّة آدم في الآية (٣١): {قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ} أمر الله –عزّ وجلّ– لآدم بالإنباء.

الدّلالة على التّكريم في الحدث الثّالث في الآية (٣١): {فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم} حصول الإنباء من آدم عليه السّلام.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}(١).

لاحظي أتى في ختام الآية (٣٠): الله –عزّ وجلّ– قال: {إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} معناها: أنّ الله – سبحانه وتعالى– أخبر بالإجمال أنّ آدم سيكون له مكانة خيريّة.

الآن جاء الكلام عن التّفصيل في الآية (٣١)، قسّموا الآية إلى جمل وأخبروني:

- أوّل جملة: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا} هذه الجملة هي التي فيها الحدث: يعني التّكريم؛
  - ⇐ كيف أتى التّكريم؟ أتى التّكريم بالتّعليم، يعني كون أنّ الله يخصّه بعلم؛ فهذا دلالة على التّكريم، وسيبقى العلم هو دليل التّكريم إلى أن تقوم السّاعة، يعني كلّما زاد الإنسان علمًا كان أكرم عند الله.

الفائدة (١): كيف أعرف ما هو العلم الّذي يصير به الإنسان مكرّما؟

العلم الّذي يصير به الإنسان مكرّما:

- هو الّذي تضع الملائكة أجنحتها لطالبه.
- هو الّذي ورثناه عن الأنبياء.

فقط بكلمة مختصرة، وبدون الدّخول في أيّ جدل: هو الّذي ورثناه عن الأنبياء وليس الّذي ورثناه عن الفلاسفة.

إنّ الأنبياء لم يورّثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنّما ورّثوا العلم، هذا هو الميراث الّذي يُمدح عليه؛ فالّذي ستجدين فيه علمًا تابعًا لهذا الميراث؛ فإنّه يصير هو: العلم الممدوح، وأمّا العلوم الأخرى فممكن أن تكون ليست ممدوحة تمامًا، يعني مذمومة، أو ممدوحة بالإضافة لأنّها تخدم هذا العلم فقط.

وبدون الدّخول في أيّ جدال، بأنّ هناك علوم دنيويّة تنفع، فنحن لا نناقش هذا، وليس لدينا فيه مشكلة؛ فهناك علوم دنيويّة تنفع، لكن العلم الّذي يصير به الإنسان مكرّمًا والملائكة تضع له أجنحتها هو الّذي ورثناه عن الأنبياء؛ فهذا هو المحض وأيّ علم آخر يصير بالإضافة، يعني لو الإنسان كان مخلصًا، وكان يريد وجه الله في العلوم الدّنيويّة، وبذل، وبذل سيعتبر له عملًا صالحًا، فلو أنّي تعلّمت

(١) سورة البقرة: ٣١.

علما دنيويّا وقصدت به نفع المسلمين؛ فهذا يعتبر عمل صالح، لكن ليس له علاقة بالعلم ولا بالأدلّة الدّالّة على مدح العلم، أبدا! لأنّ العلم الّذي جاء من عند الأنبياء فقط ما يُمدح بهذا المدح.

ومن الأخطاء تسمية العلوم الدّنيويّة "علمًا"؛ وإنّما هو فنّ من الفنون يتفنّن فيه النّاس، يعني أيّ شيء يكون قابلًا للخطأ والصّواب والتّجربة فهو ليس بالعلم؛ وإنّما العلم هو الّذي يكون قطعيّ ومن مصدر مقدّس، هذا هو العلم؛ وأمّا أيّ شيء آخر فما هو إلّا فنون قد اكتسبها النّاس بعضها وراء بعض!

إذًا هكذا أتى التّشريف أنّه: {عَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا}. {ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا} يعني اسم كلّ شيء إلى أن تقوم السّاعة.

الفائدة (٢): فائدة تسمية الأشياء بأسمائها

وهنا هناك سرّ عظيم أنّك لا تستطيعين أن تتعاملي مع الأشياء إلّا حين تسمّيها! حتّى المشاعر؛ فإنّك لا تستطيعين إيجادها إلّا حين تسمّيها! حتّى الأمراض؛ لا تستطيعين تشخيصها إلّا حين تسمّيها! ولذلك فإنّك حين تسمّي الأشياء بمسمّياتها الحقيقيّة؛ عندها تستطيعين أن تعالجيها.

انظري حين تأتيك أفكارًا في ذهنك: فلانة قصدها كذا في كلامها، حين تسمّين هذا "وسوسة" غير إذا سمّيته "ذكاء وفطنة!" لأنّ كثير من النّاس يرون سوء ظنّ في النّاس والشّكّ فيهم على أنّهم أذكياء ويقولون: (أنا أفهم، وأعرف من الوجوه، وأعرف من النّظرة، وأعرف من الكلمة) فانظري من العنوان، كيف أنّ الاسم جعل سوء الظّنّ ذكاء وفطنة! ولو سمّيتيه باسمه الحقيقي أنّه: "وسوسة"؛ فإنّك تقولين أوّل ما يأتيك: (أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم)

فانظري: كيف أنّ الأسماء ستجعلك تتصرّفين بطريقتين مختلفتين، وتفكّرين بطريقتين مختلفتين! فقط سمّي الأسماء باسمها!

وهذه هي أكبر لعبة نعيشها، ويُلعب علينا بها: المسمّيات! تسمية الأشياء بغير اسمها! إلى درجة أنّ النّاس يمارسون الغباء والانحطاط ويرونه شُهرة وتصير هذه الأشياء مؤثّرة في النّفوس.

الفائدة (٣): لابدّ أن تعرفوا لماذا علّم آدم بالذّات الأسماء كلّها؟ فإنّ الأسماء مؤثّرة في الانفعالات والقرارات والسّلوك الإنسانيّ عمومًا.

فمثلا: عندما تقولين لهم: (كُلوا الخضروات) فإنّك تجدينهم يأكلونها غصبًا عنهم! ثمّ إذَا قلتِ لهم: (تعالوا نقوم ببرنامج صحّي...والأكل الصّحّي...) حتّى النّباتات مساكين لا يعرفون أسماءها، ولا

شكلها، ولا يُستساغ وضعها في الفم، لكن يأكلون وهم صامتون! لأنّه صحّي! هل رأيت كيف هي اللّعبة؟ فقط سمّوا الأشياء وستجدون لها نتائج!

فعلينا تصحيح التّسمية للأشياء فتبقى الأمّهات والآباء، والمربّيّين والمربّيات، وكلّ واحد واع يريد صلاح نفسه والمجتمع، يبقى يصحّح الأسماء، لابدّ أن يبقى يسمّي الأشياء باسمها الحقيقي، وهذا هو الأمر المهمّ!

لماذا ربّنا والنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– جعلا للشّابّ الّذي نشأ في طاعة الله منزلة خاصّة؟ لأنّ هذا الشابّ الّذي نشأ في طاعة الله يفهم ويفكّر بالطّريقة الصّحيحة، فيستفيد من الجيل الّذي هو قبله –نحن الكبار– وينقل للجيل الّذي هو ندّه، والّذي هو بعده؛ فسيقوم بثلاثة أعمال:

- ⟸ يأخذ من الّذي قبله.
- ⟸ يعطي ندّه.
- ⟸ ويعطي الّذي بعده.

لكن حين يشيخ ويكبر ثمّ بعد ذلك يصلح فإنّه بالكاد سيعطي الّذي بعده! إذَا ما كان فقط لنفسه! وممكن يقولون له: (أنت في عالم ونحن في عالم!) من أجل ذلك فإنّ الوظيفة المهمّة الّتي يقوم بها النّاس في الصّلاح والإصلاح: ابقاء الأسماء في مكانها الصّحيح، كلّ شيء باسمه الحقيقي.

الحدث الرّابع في قصّة آدم في الآية (٣١): {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} عرض المسمّيات على الملائكة وحصول الاختبار لهم.

الدّلالة على التّكريم في الحدث الرّابع في الآية (٣١): {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} اختبار الملائكة لبيان شرف آدم عليه السّلام.

فإذًا الجملة الأولى: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا} والجملة الثّانية: {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ} ما المقصود بالعرض على الملائكة؟ عرض المسمّيات على الملائكة.

إذًا هنا وقع الاختبار! {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}، {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ} إذًا هنا حصل الاختبار للملائكة.

سيقابلها في التّكريم: إظهار شرف آدم. في أنّه سيكون أعلم من الملائكة {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}.

هكذا ستصير جملتين فقط: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ...} جملة و{ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ...} جملة أخرى.

أين التّشريف؟ في التّعليم وأيضًا في اختبار الملائكة لبيان شرف آدم عليه السّلام.

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (٣٢) فيها إشارة إلى الله

هنا في الآية (٣٢) لا يوجد إشارة إلى تكريم آدم إنّما إشارة إلى الله

كلام الملائكة دليل على أنّها معظّمة لله واعتراف منهم بالعجز والقصور وأنّ علم الله وحكمته من جُملتها خلق آدم وتعليمه.

يقول الله عزّ وجلّ: {قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ}(١).

{قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ} هنا لا زالت الملائكة تقدّس وتعظّم ربّ العالمين؛ لكن اعترافها بعلم الله. هنا لا توجد إشارة إلى تكريم آدم؛ إنّما بيان أنّ الملائكة معظّمة لله، واعتراف منهم بالعجز والقصور، وأنّ علم الله وحكمته من جُملتها خلق آدم وتعليمه.

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (٣٣) ودلالاتها على التّكريم

الحدث الخامس في قصّة آدم في الآية (٣٣): {قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ} أمر الله –عزّ وجلّ– لآدم بالإنباء.

الدّلالة على التّكريم في الحدث الخامس في الآية (٣٣): {فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم} حصول الإنباء من آدم عليه السّلام.

يقول الله عزّ وجلّ: {قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}(٢).

(١) سورة البقرة: ٣٢.

(٢) سورة البقرة: ٣٣.

{قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ} إذًا هذه الجملة فيها دلالة على تكريم آدم: {أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ} فهذا هو الطّلب: أعْلمهم بأسماء الأشياء الّتي عجزوا عن علمها.

ما الجواب لمّا قال الله عزّ وجلّ: {يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ}؟ المحذوف "فأنبأهم".

إذًا التّكريم: أنّ الله -عزّ وجلّ- أمره بالإنباء ووقع منه الأنباء.

أتت الجملة الّتي بعدها {فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ} قال -عزّ وجلّ- تقريرا للحقيقة الآن: {أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ} هذا في وصف الله.

⇐ إذًا أين التّكريم؟ {فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ} أو {أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ} كلا الجملتين صحيحة؛ التّكريم: أنّه حصل الإنباء، يعني ما استطاعوا ثمّ حصل الإنباء من آدم عليه السّلام.

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (٣٤) ودلالاتها على التّكريم

الحدث السّادس في قصّة آدم في الآية (٣٤): {وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ} أمر الملائكة بالسّجود.

الدّلالة على التّكريم في الحدث السّادس في الآية (٣٤): {وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ} الأمر بالسّجود.

هذا الجزء كلّه الّذي هو من الآية (٣٠) إلى الآية (٣٣) خاصّ بالأحداث مع الملائكة.

إذًا أخبروني عن الأحداث الّتي مع الملائكة؟

- ابتدأت بقوله تعالى: {وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ}.
- {قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ}.
- قال الله عزّ وجلّ: {قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ}.
- الآن إظهار علم الله: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ}.

وبعد ذلك: {قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ} إذًا هكذا انتهينا من الكلام عن الملائكة.

هذه الأحداث الّتي كانت مع الملائكة، بعدما ظهر فضل آدم -عليه السّلام- وتكريمه:

- التّكريم الأوّل: كان بإخبار الله الملائكة أنّ الله سيخلقه.
- التّكريم الثّاني: كان بعد خلقه مباشرة في إظهار ميزة آدم؛ فعلّمه الله عزّ وجلّ.
- التّكريم الثّالث: الأمر للملائكة بالسّجود: {وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ} فإذًا هذا الحدث من ضمن تكريم الله لآدم عليه السّلام.

هنا سينتهي الكلام عن التّكريم عند كلمة {فَسَجَدُوٓاْ}.

نبدأ الآن في الانتقال إلى أحداث جديدة؛ هذه الأحداث ستدور حول إبليس.

قصّة آدم –عليه السّلام–

الجزء الثّاني خاصّ بالصّراع مع إبليس

من الآية (٣٤) إلى الآية (٣٩)

مبحث إبليس في القرآن وتقرير مجموعة حقائق.

مبحث الشّيطان في القرآن وتقرير مجموعة حقائق

حقيقة إبليس: هل إبليس من الملائكة؟ ما دليلك؟

التّقرير الأوّل: إبليس من الجنّ وليس من الملائكة بدليل الآية (٥٠) في سورة الكهف {كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}.

سنبدأ الآن بالكلام عن الصّراع: بدأ الآن صراع، هذا الصّراع سيكون بين آدم –عليه السّلام– وإبليس.

القصّة ابتدأت بالخبر عن الملائكة وآدم –عليه السّلام– إلى أن وصلنا في تكريمه إلى الأمر بالسّجود؛ عند الأمر بالسّجود بدأنا في نقاش جديد وهو: الكلام عن إبليس والصّراع الحاصل معه، أتت جملة: {إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ}(١).

قبل أن ندخل في التّفاصيل الّتي هنا في القصّة؛ يجب أن نأخذ فكرة عامّة عن إبليس؛ ومن ثمّ نقرّر مجموعة حقائق.

السّؤال الأوّل: هل إبليس من الملائكة؟ لا، بدليل آية سورة الكهف: {إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}(٢).

فالآية: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} ممكن ألّا تفهم منها هل إبليس منهم أم من غيرهم؟

فإذًا أوّل شيء قرّري الحقيقة: إنّ إبليس ليس من الملائكة؛ بدليل آية سورة الكهف: قال الله عزّ وجلّ: {كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}.

فإذًا هذا دليل على أنّ الجنّ خُلقوا قبل آدم؛ وهذا الّذي جعل بعض المتكلّمين يقولون: إنّ الملائكة ما قالت على ابن آدم هذا القول إلّا لأنّها رأت الجنّ من قبل في الأرض وما يفعلون؛ فحكمت على آدم أنّه قد يكون مثل الجنّ. هذا ليس له دليل؛ وإنّما هو فهم فهموه ليس له دليل؛ فنحن سنبقى على الأصل: إنّه من المتشابه.

المهمّ إنّ جواب هذا السّؤال واضح بأنّه من الجنّ.

---

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

ما الّذي رفع إبليس إلى مقام الملائكة؟ ما دليلك؟

التّقرير الثّاني: الّذي يظهر أنّ عبادة إبليس هي الّتي رفعته بدليل الآيات (١_١٤) في سورة الجنّ.

طبعا سيأتي سؤال هنا: ما الّذي رفعه إلى مقام الملائكة؟ أنّه كان عابدًا لله، عبد الله عبادة بسببها رفعه الله إلى الملائكة، هذا الّذي يظهر من كونه مع الملائكة.

أنت عرفت أنّه من الجنّ، وعرفت سابقًا أنّ الجنّ عابدة لله، ليست كلّها كافرة؛ فيها من يعبد وفيها من لا يعبد؛ تذكّروا سورة الجنّ؛ فهذا خبر بعد الإسلام: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا} إلى أن قالوا: {وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ}[1] فإذًا فيهم هذا وفيهم هذا.

إِبَاؤُهُ واستكباره: ما سبب إِبَاءِ إبليس واستكباره؟ ما دليلك؟

التّقرير الثّالث: إِبَاءُ إبليس واستكباره سببه عدم صدقه في العبادة حيث ظهر كذبه أوّل ما جاء أحد سَيُفَضّلُ عليه بدليل الآية (٣٤) في سورة البقرة {إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ}.

الشّيطان في أصله كان من الجنّ العابدين. هذا –والله أعلم– الّذي جعل مكانته مع الملائكة، لكن هنا الخوف، يعني هذا التّفكير هو الّذي يخيفك: أنّه ممكن يكون عَبَدَ لدرجة أنّه أصبح مع الملائكة، وبعد ذلك يظهر أنّه ليس صادقًا!

انظري الفرق بين موقفه وبين موقف الملائكة: هو لماذا ارتفع إلى منزلة الملائكة؟ من كثرة عبادته، يعني شابه عبادة الملائكة؛ لكنّ الملائكة صادقين وهو كذّاب! أين ظهر الكذب في عبادته؟ أنّه أوّل ما جاء أحد سَيُفَضّلُ عليه، الملائكة ماذا فعلوا؟ {فَسَجَدُوٓاْ}، وهو أبى.

وسنتذكّر أوّل الكلام هم لم يعترضوا؛ وإنّما كان مقصدهم تنزيه جانب الإله، تعظيم الله، هذا الّذي كان مقصدهم: لمّا أظهر الله –عزّ وجلّ– فضل آدم وأمرهم بالسّجود، سجدوا مباشرة، بينما هو الّذي لم يقبل أن يسجد! دليل على أنّه ليس صادقًا! أخذ العبادة طريقًا لأجل أن يرتفع فقط، لكن أظهر الله ما في نفسه بوجود آدم، يعني هذا الّذي نقصد به أنّه من شروط "لا إله إلّا الله": الصّدق.

(١) سورة الجن: ١_١٤.

بمعنى: أنّ الشّيطان يمكن أن يكون نموذجًا للمنافقين؛ فهو منافق! أين وجه النّفاق؟ طالما أنّ العبادة سترفعه وستكرّمه وسترفعه عن جماعته الجنّ إلى ما هو أعلى، الّذي هم الملائكة فهو معهم في الطّريق! لكن أوّل ما جاء موقف سيكون هناك غيره أحسن منه، ماذا فعل؟ {أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ}.

إذًا إبَاؤهُ واستكباره دليل على كذبه في العبادة السّابقة!

نحن إلى الآن لدينا ثلاث تقارير:

- التّقرير الأوّل: حقيقة إبليس، من أين أتى؟ من الجنّ.
- التّقرير الثّاني: ما الّذي رفعه إلى درجة الملائكة؟ الّذي يظهر أنّ عبادته هي الّتي رفعته!
- الّتقرير الثّالث: ما سبب إبَاءِهِ واستكباره؟ عدم صدقه في العبادة!

توعّد الشّيطان بني آدم في القرآن:

بعد وقوع الامتناع من إبليس عن العبادة بماذا توعّد آدم وذرّيّته؟ ما هو دليلك من الآيات؟

التّقرير الرّابع: هناك آيات عديدة في القرآن توعّد فيها بأمور كثيرة مثلًا في موطن سورة الحجر توعّدهم فقال: {بِمَآ أَغْوَيْتَنِى} وأقسم بأن يزيّن لهم.

بعد وقوع الامتناع منه عن العبادة؛ بماذا توعّد بني آدم؟ {قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}(١).

{بِمَآ أَغْوَيْتَنِى} أقسم أن يزيّن: التّزيين!

هناك نصوص كثيرة تقول بماذا توعّد آدم وذرّيّته إذَا بدأت من الأعراف وأنت تسمعين عن توعّده؛ **فإذًا المرّة القادمة عليكم جمع الآيات الّتي فيها "بماذا توعّد إبليس بني آدم".**

ما هي وسيلته لهذا التّوعّد؟ ما هو دليلك من الآيات؟

التّقرير الخامس: وسيلته الوسوسة! فقط ما عنده إلّا الوسوسة!

التّقرير السّادس: غايته الإغواء والإضلال والفتنة.

---

(١) سورة الحجر: ٣٩.

التّقرير السّابع: الشّكر هو العبادة أو الصّفة العامّة للإنسان الّتي يرغب الشّيطان في صرفه عنها.

والدّليل: {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ}[1].

التّقرير الثّامن: الشّيطان يوسوس للإنسان لأجل أن يُغويه لينقله من وصف الشّكر إلى وصف الكفر بأن يفقده الشّعور بالنّعمة فيكفر!

إذَا صرفهم عن الشّكر سيذهبون إلى الكفر مباشرة! لأنّ كلّ العبادات الّتي تعبدين الله بها اسمها "شكر".

فأنت تصلّين، وتصومين، وتسبّحين، وتكبّرين، وتهلّلين شكرًا على نعم الله، شكرًا على أن كرّمك.

دعونا نرى أمثلة في الحياة: هذه الأمثلة تنطبق كثيرًا على النّساء أكثر من غيرها، وكلّما قلّ الرّشد زادت هذه الأمور! الشّكر والكفر حالتان وجدانيّتان، يعني موجودة في الوجدان، عندما يشعر الإنسان بالنّعمة؛ فإنّه لا يستطيع إلّا أن يشكر، بينما حين يفقد الشّعور بالنّعمة –لا يفقد النّعمة وإنّما يفقد الشّعور بالنّعمة– يكفر!

وانظري مثلًا: في غالب صفحات التّواصل الاجتماعي، في الزّمن الماضي كانت هناك الدّفاتر، والنّاس لا يملكون شيئًا يكتبون فيه إلّا في الدّفاتر، اليوم في صفحات التّواصل الاجتماعي طوال الوقت مساكين حزنانين! طوال الوقت دموع من أوّل الصّباح إلى آخر المساء! هذه الدّموع من أين مصدرها؟ مصدرها الحقيقيّ الرّخاء! لأنّ الّذي لديه وقت يتباكى فيه يوميًا؛ مادام عنده وقت؛ إذًا هو يعيش في نعمة! أكيد هو يعيش في نعمة ومن النّعمة أتى الفراغ؛ لأنّه لو كان يجري على لقمة يأكلها، أو –الله يعافينا– على مرض يُعالجه، أو على أبناء يفعل لهم كذا...فلن يكون هناك وقت أصلًا لكي يعبّر عن هذا كلّه! لكن المشكلة أنّ الشّيطان يوسوس للإنسان فينقله من حال الشّكر إلى حال الكفر، وهو قال لربّ العالمين: {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ}!

فإذًا الصّورة واضحة: أنّه يريد أن تصل إلى هذه المرحلة. فحتّى حين تكونين في حالة حسنة؛ فإنّه لا يُخرج لك من الأمر إلّا أسوأه! فلا يتركك تفكّرين في الموجود وإنّما تفكّرين في المفقود! وتقولين: (أنا أريد هذا! أنا أريد هذا!) وهذا ليس من الدقّة أو الذّوق أو أيّ شيء! إنّما من وسوسة الشّيطان، دائمًا

(١) سورة الأعراف: ١٧.

يبحث لك عمّا يقلب عليك الطّاعة من شكر إلى كفر! وقال لربّ العالمين: {وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ}! فهو يقلّل إحساسك بالنّعمة إلى أن يقلّ شكرك، وتصل إلى أن تكون كافرًا!

من أين يبدأ؟ يجعلك:

١) تترك الشّكر!

٢) تشعر بالحزن لأقلّ شيء يصيبك!

٣) لا تستطيع أن تصبر! لأنّ الشّكور لابدّ أن يكون صبورًا: لأنّها {لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ}[١] فلابدّ من الاثنين مع بعض: لأجل أن يكون شكورا لابدّ أن يكون صبّارا!

خطبة الشّيطان في أهل النّار: هل للشّيطان سلطان على بني آدم؟

التّقرير التّاسع: في الأصل ليس له سلطان على بني آدم إلّا أنّ سلطانه فقط على من تولاّه.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ}[٢].

في آخر مطاف هذا الصّراع؛ الشّيطان يخطب في أهل النّار.

هل للشّيطان سلطان على بني آدم؟

هذه الآية تنفي أن يكون له سلطان! لكن عندما تكملين هذه الآية في سورة إبراهيم، ثمّ تنتقلين للحجر، ثمّ النّحل؛ فإنّ الثلاثة سور ستجيبك عن السّؤال الّذي هو: هل للشّيطان سلطان على بني آدم؟ هذه الآية تنفي، لكن هناك آيات تثبت أنّ له سلطان على من يتولّونه، فيصير صاحبهم، والمصاحبة لا تكون إلّا في الوسوسة والتّفكير! فيصبح وقتها للشّيطان سلطان عليهم.

إذًا في هذه الخطبة الّتي عند أهل النّار يتبرّأ منهم؛ يقول: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ} فيرمي عليهم القضيّة!

---

(١) سورة إبراهيم: ٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

الصّراع بين آدم وإبليس بدأ من الآية (٣٤)

بدأ الصّراع بامتناع إبليس عن السّجود لآدم وعُبِّرَ عنه في الآية بخبرين ما هما؟

{أَبَىٰ} هو الامتناع {وَٱسْتَكْبَرَ} هو التّكبّر وهو سبب الامتناع.

يقول الله عزّ وجلّ: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٩)}[1].

نبدأ من الآية (٣٤) الشّقّ الأوّل واضح فيه الكلام حول التّكريم: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ}.

{إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} إذًا من هنا بدأ الخبر عن الصّراع بين آدم وإبليس، بامتناع إبليس عن السّجود. في الآية عُبِّرَ عن الامتناع بخبرين: {أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ}.

ما هو الفرق بين {أَبَىٰ} {وَٱسْتَكْبَرَ}؟

{أَبَىٰ} بمعنى: رفض، امتنع عمّا أُمر به بسبب الاستكبار.

{وَٱسْتَكْبَرَ} تكبّر عنه.

ما هو الحكم الّذي حكم الله به على إبليس؟

{وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} لمجرد ردّ أمر الله فإنّه يُعتبر كافرًا وليس لامتناعه عن السّجود.

لاحظوا أنّ الكلام هنا عن إبليس –الشّيطان– الّذي أَبَى السّجود لآدم –عليه السّلام– والّذي أعطاه الله بعد ذلك هذا البلاء بأن يعيش إلى آخر الزّمان؛ وليس الكلام عن الجنّ؛ فالجنّ منهم المسلمون ومنهم القاسطون.

(١) سورة البقرة: ٣٤_٣٩.

وإبليس هو رأس شياطين الإنس وشياطين الجنّ، من الّذي تقولين عليه: (من شياطين الإنس) ومن هم (شياطين الجنّ)؟

(شياطين الإنس): الّذي يأبى أوامر الله! ولا يمتثل لها! ويعادي دين الله! ويحارب دين الله! ويحبّ الفسق والفجور إلخ...فهو إنسيّ لكنّه أصبح شيطانًا بسبب أفكاره!

و(شياطين الجنّ): جنّيّ، مخلوق من النّار! متى يصبح هذا من شياطين الجنّ؟ حين يأبى ويستكبر ويكره دين الله ولا يعبد الله!

وكلاهما رئيسه إبليس الأوّل الّذي امتنع عن السّجود لآدم! وهو باقٍ بذاته، مُدّ له في العمر إلى قيام السّاعة!

إذَا كان الامتناع عن الامتثال إلى أمر ربّنا يُعتبر كبيرة؛ فهل كلّ امتناع عن تنفيذ أمر ربّنا يُعتبر كبيرة؟

لا بدّ أن نفرّق بين أمرين:

- بين أنّك لا تقبّل أمر الله.
- وبين أنّك لا تفعله.

فالأمر يختلف، فالإنسان قد لا يفعل أمر الله كسلًا، أو لأنّه يخالف هواه، لكن في داخله يعرف أنّ هذا أمر؛ وأنّه آثم، أمّا إبليس {أَبَىٰ} ردّ أمر الله؛ ولذلك هو {مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ}!

لذلك حين تُعرض عليك الأمور الشّرعيّة؛ لا تُعطِ لنفسك فرصة أن تقبل أو لا تقبل؛ وإنّما انتبه أنّه ما دام أمر من الله؛ فعليّ أن أقبله وأمتثله وأنفّذه، حتّى لو كنت أتصوّر أنّني لن أقدر عليه؛ فكوني لا أقدر شيء، وأن أردّ أمر الله شيء آخر.

فهناك من يعتقد أنّه يفهم ويعلم كيف يتّخذ القرار! فهو بعقله يحدّد: هل يقبل أم لا يقبل! وبناءً عليه لا يجعل عقله تابعًا للشّرع، ولأمر الله! فالمسألة عنده بالعكس! عقله هو الّذي يحدّد: (أقبل أو لا أقبل)!

والحقيقة أنّ المؤمن الّذي هو ضدّ الكافر؛ الأصل أنّه ما أن يأتي أمر من أوامر الله إلّا يقول: سمعنا وأطعنا ولو حصل تقصير في الطّاعة.

أمّا المنافق فيكون في داخل نفسه ردّ للأمر؛ لكن يظهر أمام النّاس بصورة الشّخص المطيع! وحين يخلو إلى شياطينه؛ يقول: {إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ}(١).

انتهينا من وصف إبليس، وسنرى بعدما فعل هذا الفعل كيف سيدخل في صراع مع آدم:

بعدما فعل إبليس هذا الفعل كيف سيدخل في صراع مع آدم؟

ضيافة آدم وحوّاء في الجنّة كانت مدّتها محدودة جاء ورائها الابتلاء وظهرت حقيقة إبليس وضعف آدم عليه السّلام.

{وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ} هذا الخطاب لآدم -عليه السّلام- بعد أن أمرهم بالسّجود فأبى إبليس، الخطاب كان لآدم.

{وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ} أين؟ {ٱلْجَنَّةَ} إذًا هذا أمر من الله -عزّ وجلّ- لآدم بالسُّكنى في الجنّة. من هنا سيبدأ الابتلاء، فهذا سيكون بداية الابتلاء؛ لأنّ سُكنى آدم في الجنّة كان من الابتلاء الّذي سيأتي ورائه الصّراع.

{أَنتَ} ومن؟ {وَزَوْجُكَ} إذًا كانت هذه ضيافة لهم في الجنّة، ضيافة في مدّة محدودة جاء ورائها الابتلاء، وظهرت حقيقة إبليس، وضعف آدم عليه السّلام.

كلّ الابتلاء في الدّنيا بنفس القاعدة أنّه: {وَلَا تَقْرَبَا} فهذه هي القضيّة!

ثم حُدّد له كيف سيتصرّف في هذه الجنّة؟ لأنّ الجنّة هنا هي الجنّة الحقيقيّة الّتي خلقها ربّنا؛ أمره الله -عزّ وجلّ- أن يأكل منها {رَغَدًا} أَكْلًا رغدًا واسعًا {حَيْثُ شِئْتُمَا} عندك الأمر واسع؛ كُلْ من هذا كلّه في أيّ مكان من الجنّة؛ لكن {وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ} شجرة معيّنة في الجنّة، الله -عزّ وجلّ- جعلها ابتلاء؛ لأنّ فترة الضّيافة في الجنّة كانت ابتلاء.

عندما ينتهي الابتلاء ستعود إلى الجنّة دون أن يكون فيها شيء محرّم، وعندما يدخل المؤمنون إلى الجنّة لن يكون هناك أيّ شيء ممنوع عليهم؛ لكن هذا كان زمنًا فقط ابتلى الله فيه آدم، وحصل هذا الصّراع الّذي نعرفه.

(١) سورة البقرة: ١٤.

{وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا} إذًا قربتموها تكونان{مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ} الّذين ظلموا أنفسهم، الّذين وضعوا الأشياء في غير موضعها.

لأنّها جنّة طويلة، عريضة، يُقال لهم: (كلوا ما شئتم منها) هل هم بحاجة إلى هذه الشّجرة؟ أبدًا! وماذا عن حالنا؟! كلّ شيء أباحه ربّنا لنا، ثمّ قيل لنا: إنّ هذا الشّيء فقط ممنوع؛ فتحسّي بأنّ الجمال فيه! مثلًا الآن تجمّلي بما تبغين، فنقول لك: (لا! إلّا هذه الشّعرات الّتي في الحواجب) فتقولي: (لا، أُصلحها لأجل أن أكون جميلة)! (إلّا هذه!) هي نفسها: (إلّا هذه الشّجرة!) يعني (أنت لديك الأمر متاح، واسع، جمّلي وجهك مثلما تريدين؛ فلن يكلّمك أحد!) لكنّها تأتي إلى هذه، وتقول: (إلّا هذه!)! فإنّ (إلّا هذه!): هي نفسها الشّجرة!

واعلمي أنّه ليس هناك مساحة ضيّقة أبدًا في الشّرع، فأيّ شيء مُحرّم أمامه مساحة واسعة جدًّا تستطيعين أن تكوني فيها، مثلًا لمّا حرّم ربّنا الرّبا؛ أحلّ البيع.

أحلّ البيع الواسع بكلّ أنواعه، والرّبا صوره محدّدة جدّا! فقط هذه: (لا تبع ما لا تملك...لا تفعل كذا...) فقط أربع أو خمس أمور لا تفعلها وانتهى الأمر، والباقي كلّه حلال لك! فيتركون كلّ هذا ويذهبون لهذا الضّيّق! هل واضح ما هو الإشكال؟

فإذًا بنفس القاعدة: فكلّ الابتلاء في الدّنيا أنّه: {وَلَا تَقْرَبَا} انظروا: {وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا} لكن {لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ}! فهذه هي القضيّة!

طيّب، هم في الأصل لن يقربوا هذه الشّجرة! ففي الأصل لو كانوا بدون أحد يؤثّر عليهم؛ فإنّهم لن يقربوا هذه الشّجرة؛ لكن أوّل ما ستأتي مؤثّرات خارجيّة من الشّيطان؛ فإنّهم سيقربوا هذه الشّجرة!

بمتابعة مواطن القصّة في القرآن والنّظر في أفعال الشّيطان يتّضح كيف يكون مكر الشّيطان ووسوسته للنّاس.

بعد ذلك ماذا فعل الشّيطان؟ هل تركهم في حال سبيلهم؟ لا، قال تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ} من الزّلل، كأنّهما يمشيان بقدم ثابتة على الصّراط المستقيم؛ ثمّ بعد ذلك دفعهما، دفعهما من على الخطّ المستقيم لأجل أن تزلّ قدمهم!

وأنت انظري كيف يأتي أحدهم يُظهر أنّه صديق لك؛ ثمّ بعد ذلك يدفعك، يدفعك إلى أن تسقطي! ويجعل النّاس يضحكون عليك! ما هي مشاعرك تجاهه؟ أكيد البُغض؛ لأنّه ما أراد لك الرّشد أبدًا، أكيد أنّه لمّا فعل ذلك وأزلّك، بمعنى: سقطت قدمك، أنّه ما أراد لك الرّشد أبدًا!

فالله -عزّ وجلّ- يقول: {فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ}:

- تابعوا مواطن القصّة، وانظروا كيف كان التّعبير عن هذا الفعل؛ فليس في كلّ مرّة قيل لنا: {فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ}؛ ففي كلّ مرّة يأتي فعل مختلف.
- علينا جمعه ومعرفة ما هي دلالته؟ حتّى تعرفوا كيف يكون مكر الشّيطان ووسوسته للنّاس.

الآن أزلّ قدمهما عن الجنّة؛ فماذا فعل؟ وسوس لهما وأغراهما، قال لهما: (لو أنّكما أكلتما من هذه الشّجرة ستصيران خالدين وستصيران مَلَكَين!) فدائمًا يُغريهما بهذا: (فإنّك لو فعلت هذا الحرام ستصير غنيًّا! لو فعلت هذا الحرام ستصير جميلًا! لو فعلت هذا الحرام سيحصل لك كذا وكذا من الأمور الّتي ترغب فيها!) فلا يأتيهم ويقول لهم: (هذا حرام، وتعالوا افعلوه طاعة لي!) لن يقول لهما ذلك طبعًا! وإنّما لابدّ أن يُغريهما! وأكثر شيء يُغريهما: المال والحياة؛ بأنّه: (ستطول حياتك! ويكبر مُلْكُكَ! لو فعلت هذا!)!

إذًا: {فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا} ماذا فعل؟ {فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} من النّعيم، والكرامة! إذًا هذه هي القصّة باختصار!

ثمّ قيل لهم: {وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ} الهبوط بمعنى: النّزول إلى الأرض، والخطاب لآدم وحوّاء وإبليس جميعًا {بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ} يعني من جهة آدم وحوّاء، ومن جهة إبليس.

وقُرّر لهم شيئًا مهمّا: {وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ} تستقرّون فيه، وأيضًا{وَمَتَٰعٌ} تتمتّعون بالعيش؛ لكن هل هو الخلود؟ لا! ولكن {إِلَىٰ حِينٖ} إلى يوم القيامة، أو إلى الموت.

{فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ} هذه الكلمات الّتي قالها فتاب الله عليه بسببها وردت في سورة الأعراف: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}[1].

إذًا معنى ذلك أنّ آدم -عليه السّلام- حصلت منه التّوبة؛ في مقابل أنّ إبليس {أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ}.

(١) سورة الأعراف: ٢٣.

ما دلالة ورود اسم الله التّوّاب الرّحيم؟

يدور اسم التّوّاب حول ثلاثة أمور فأوّلا يلقي الله في قلبك انشراح الصّدر للتّوبة لأجل أن يحصل منك الإقبال عليها فإذا تبت قَبِلَ منك وإن كرّرت قَبِلَ منك.

{فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ} طبعا معنى اسم {ٱلتَّوَّابُ} يدور حول ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: أنّه -سبحانه وتعالى- يشرح صدور العباد للتّوبة؛ إن كانوا صادقين في إيمانهم، يعني ليسوا مستكبرين، وإنّما إذَا كانوا صادقين في إيمانهم؛ فإنّ الله يشرح لهم صدورهم للتّوبة، ويهيّئ لهم أحوالًا تذكّرهم بالذّنوب، ويجعل لهم في قلوبهم واعظًا. وهذه أحد وظائف الملائكة أنّها تُلقي في قلب المؤمن هذا الواعظ الّذي يعظه، ويذكّره بالذّنب، ويذكّره بالجريمة، ويذكّره في حقّ الله.

الأمر الثّاني: فإذَا تاب الإنسان قَبِلَ منه توبته.

الأمر الثّالث: ولو تكرّر منه الذّنب كان الرّبّ -سبحانه وتعالى- كثير القبول للتّوبة.

الله كثير القبول للتّوبة من أجل ذلك لا يؤيّسك الشّيطان أبدًا من روح الله فإنّ الله توّاب رحيم.

فإذًا معنى ذلك أنّ التّوبة من آثار رحمته؛ ولذا تصوّر لو أنّ إنسانًا يذنب ذنبًا ويُغلق عليه الباب، فيهلكه الله مباشرةً! لكنّ الله توّاب رحيم؛ وممكن يذنب العبد الذّنب في زمن بعيد، والله يعامله بالحلم، يعني لا يأخذه مباشرة، وهذا معنى: يجعل له واعضا؛ لا يأخذه مباشرة. ثمّ بعد ذلك ينسى الإنسان الذّنب، والله لا يحبّ أن يلقاه عبده بالذّنب؛ فيلقي في قلبه أو يذكّره بطريقة ما: (أنّك قد أذنبت!) أو يأتي يضيّق عليه بعض الأمور في حياته؛ فيقول العبد: (يا ربّ، أنا ماذا فعلت حتّى يصير هذا الأمر ضيّقًا؟) فيُقبل على ربّه بالتّوبة، فيتوب الله عليه ولو كرّر الذّنب! وهذا من آثار رحمة الله بعباده.

الخبر عن الاختبار وبيان أنّ النّاس ينقسمون فيه إلى قسمين في الآية (٣٨) والآية (٣٩)

إذًا قيل لهم: {وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ} الآن حصل الإخراج.

{قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا} كُرّر الأمر بالهبوط لأنّه سيتعلّق به الآن أمرًا آخر.

الآن الآية (٣٨) مختلفة عن الآية (٣٦):

- في الآية (٣٦) جاء الخبر بأنّهم سيهبطون.
- في الآية (٣٨) جاء الخبر أنّه لمّا حصل الهبوط بُيِّنَ لهم ماذا سيفعلون؛ فإذًا ماذا سيفعلون لمّا حصل الهبوط؟ ستصير الأرض عبارة عن قاعة اختبار، الدّنيا ستكون اختبارًا!

إذًا الاختبار الدّنيوي فيه ثلاثة عوامل:

أوّلًا: شخص مختبر.

ثانيًا: منهج.

ثالثًا: نتيجة، ووراءها جزاء.

⇐ فإذًا من هم المختبرون؟ آدم وبنوه.

⇐ ما هو المنهج؟ {فَإِمّا يَأْتِيَنّكُم مِّنِّى هُدًى} لمّا يأتي الهدى ماذا ستفعلون؟ ستدرسون وتدرسون، ثمّ بعد ذلك؟ هنا جاء الاختبار، هذا الاختبار متمثّل في القضاء والقدر؛ إلى أن يكون آخر اختبار في القبر: (من ربّك؟ ما دينك؟ من نبيّك) يعني طوال الحياة فإنّ الاختبار هو الأقدار الّتي تأتيك؛ لأنّها غيب. وفي كلّ قدر كيف ستجيب؟ {فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

فمثلًا: يضيق عليك رزقك: هذا اختبار؛ ما هو الجواب من اتّباع الهدى: {فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ} ما هو الخبر؟ ماذا ستكتبين في الاختبار؟ يعني لمّا ربّنا يمتحنك بضيق الرّزق، ماذا تقولين؟ ستقولين: {إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ}(١) {وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}(٢).

إذًا أين تكمن المشكلة؟ أنّه: {فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ} يعني لابدّ أن يكون الهدى واضحًا تمامًا مثل الحزمة؛ فأوّل ما يأتيك الاختبار يكون الجواب مباشرة.

لكن حين يكون هذا غائبًا عنك؛ فإنّك لن تعرف كيف تتصرّف حين يأتيك الاختبار! والدّنيا كلّها قاعة اختبار:

---

(١) سورة الذّاريات: ٥٨.

(٢) سورة الذّاريات: ٢٢.

⇐ فهنا يفاجئك الاختبار بأمر يجب أن تصبر عليه، فتقول لنفسك: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}[١].

⇐ وحين يأتيك اختبارًا في الرّزق تقول لنفسك: (كذا...وكذا...).

⇐ وحين يكون هناك مرض؛ فتقول: (كذا...وكذا...).

⇐ وحين تُختبر بالصّحّة؛ تقول: (كذا...وكذا...).

إذًا {فَمَن تَبِعَ هُدَايَ} في كلّ موقف ماذا ستكون النّتيجة؟ {فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ}.

{فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} فإذًا هذه الآية مثلّث:

- الدّنيا بالاختبار.
- والمنهج {فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى} هو الرّسالة.
- والنّتيجة {فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ}.
- وأسئلة الاختبار هي الأقدار الّتي تنزل على الإنسان؛ ومن هذا القضاء الشّرعي مثل الصّلاة والصّيام.

الآن إلى كم قسم ينقسم النّاس في الاختبار؟ إلى قسمين:

القسم الأوّل: {فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ}.

القسم الثّاني: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}.

هكذا انتهت القصّة وهي في معرض الامتنان على آدم وذرّيّته بالتّكريم، وأنّ الله خلق لهم الأرض. وأنّ الله –سبحانه وتعالى– لمّا أهبطهم إلى هذه الأرض، الّتي هي المكان، أهبطهم والمنهج واضح؛ ما هو المنهج بكلمة مختصرة؟ {فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} فقط هكذا تنجح!

المرّة القادة –إن شاء الله– ستقومون بعملين:

١) الّذي قمتم بجمعه هذا الأسبوع من الكلام عن الشّيطان؛ ستضعونه تحت عناوين؛ فتجمعون الآيات الّتي تشبه بعضها في نفس الموضوع.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٣.

٢) ستجمعون مواطن قصّة آدم في القرآن؛ هي في سبعة مواطن.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدارسة سورة البقرة

"دارسة إجماليّة"

أ. أناهيد بنت عيد السميري

اللّقاء الخامس: الخميس ٢ صفر ١٤٤٠ هـ

"مدارسة مقدّمة المقصد الثّاني (٤٠_٤٨)"

مفاهيم قصّة آدم عليه السّلام

مقارنة قصّة آدم في المواطن السّبعة الّتي وردت في القرآن الكريم.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُبَارَكًا، ونسأله بِمَنِّه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن، أَهْله وخَاصّته، اللّهمّ آمين.

بسم الله، توكّلنا على الله، نبدأ الآن بإغلاق مجموعة المفاهيم المعلّقة الّتي تناقشنا فيها في سورة البقرة في قصّة آدم؛ نغلقها الآن، ثمّ نبتدئ في الكلام حول السّورة:

مقارنة قصّة آدم في المواطن السّبعة الّتي وردت في القرآن الكريم

من بين المفاهيم كان مقارنة قصّة آدم –عليه السّلام– في المواطن السّبعة الّتي وردت في القرآن:

١) ما هي المواطن الّتي وردت فيها القصّة؟

⇐ دعونا نعدِّدُ المواطن الّتي وردت فيها القصّة: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، ص.

٢) ما هو أخصر موطن وردت فيه القصّة؟

⇐ الموطن الّذي اختُصرت فيه القصّة: في سورة الكهف.

٣) ما هو أطول موطن؟

⇐ الأعراف والبقرة، الاثنتان ممكن تتشابهان في الطّول.

٤) في كم موطن حصل الخَبَر عن تكريم بني آدم بِخَلْقِ آدم؟ الخبر عن التّكريم أتى في ثلاث مواطن: في ص والحجر والبقرة:

⇐ **الموطن الأوّل في البقرة الآية (٣٠):** {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً}.

⇐ **الموطن الثّاني في الحجر الآية (٢٨):** {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}.

⇐ **الموطن الثّالث في ص الآية (٧١):** {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ}.

ما دام الخبر عن التّكريم أتى في ثلاث مواطن؛ إذًا أكيد أنّ السّياق الّذي في السّورة وردت فيه القصّة شاهدًا على مسألة فيها تكريم، أي إذَا وجدت أنّ السّورة أتت بخبر تكريم بني آدم بإخبار الملائكة بخلق آدم عليه السّلام؛ فإنّ هذا وجه للتّكريم؛ إذًا السّياق الّذي جاء في هذه السّورة أكيد أنّه يكون سياق تكريم، يعني

⇐ **في البقرة:** وردت السّورة في سياق الخبر عن تكريم آدم –عليه السّلام– وتفاصيل أخرى.

⇐ **وفي الحجر:** أتى أيضًا في سياق الخبر عن أنّ الله كرّم بني آدم.

⇐ **وفي ص:** أنّ الله –عزّ وجلّ– كرّم آدم –عليه السّلام– بخلقه.

٥) **في أيّ سورة من المواطن السّبعة أتى الكلام عن مادّة خلق آدم؟** أتى في الحجر وص والإسراء:

⇐ **الموطن الأوّل في الحجر:** {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} لمّا قال ربّنا إنّه: {خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} كانت هذه هي المادّة الّتي استكبر إبليس بسببها، يعني كأنّه رأى نفسه أحسن من آدم؛ لأنّه خُلِق من نار وآدم خلق من {صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}.

⇐ **الموطن الثّاني في ص:** {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ}.

⇐ **الموطن الثّالث في الإسراء:** ذُكر في سياق الكلام عن استكباره: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}[1].

(١) سورة الإسراء: ٦١.

٦) **من خلال الآيات ما هي مادّة خلق الإنسان؟**

⇐ {طِينٍ}، {صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}.

لابدّ أن تعرفي العلاقة بين الوصفين.

٧) **أين ورد خبر سجود الملائكة لآدم؟** في كلّ المواطن السّبعة الّتي أتت فيها قصّة آدم، جاء فيها الخبر عن سجود الملائكة.

٨) **أين ورد امتناع إبليس عن السّجود؟** ما دام الخبر عن السّجود جاء في كلّ المواطن السّبعة؛ إذًا سيأتي مقابله الخبر عن امتناع إبليس عن السّجود لآدم.

٩) **ما حجّة إبليس في الامتناع من خلال كلّ المواطن؟** في كلّ موطن هناك عبارة.

⇐ **الموطن الأوّل في البقرة:** لم يأتِ الخبر بأنّ له حجّة.

⇐ **الموطن الثّاني في الأعراف:** {قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ}[١] هذه هي المادّة الأساسيّة للاستكبار، لابدّ أن نفهم بأنّ هذه هي المادّة الأساسيّة؛ لأنّنا حين نقارن نريد أن نعرف: ماذا كانت حالته لكي يصل إلى الاستكبار؟ فهو في امتناعه أو في تعليله للامتناع عن السّجود أخبر عمّا في نفسه، ونحن نريد أن نفهم: ما هو الكِبْر؟

فهو الآن رأى أنّه {خَيْرٌ مِّنْهُ}؛ فإذًا أيّ أحد يرى نفسه خيرًا من أيّ أحد؛ فإنّه سيكون قد بدأ بمفتاح الكِبْر؛ فمفتاح الكبر: أنّك من بني آدم، وهو من بني آدم، وأنت ترى نفسك أنّك {خَيْرٌ مِّنْهُ}.

لو قلت أنا مسلم وهو كافر؟ لن تتذكّر بأنّك أنت {خَيْرٌ مِّنْهُ}، لست أنت الّذي خير منه؛ إنّما الدّين الّذي أنت عليه، الّذي امتنّ **ربّنا** به عليك، الّذي **ربّنا** يسّره لك، الّذي **ربّنا**...-فأنت ستتكلّم عن **ربّنا**- فالدّين الّذي أنت عليه خير من الدّين الّذي هو عليه، ولا تدري ماذا يحصل له، لكنّك الآن أنت تنظر إلى الدّين: {إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ}[٢] فأنت ترى خيريّة الإسلام ولا ترى خيريّة نفسك! فإبليس ما هي مشكلته؟ رأى أنّه هو {خَيْرٌ مِّنْهُ}! {قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ} فما هو أساس الخيريّة الّتي يراها؟ شيء يتّصل بالخِلْقَة.

(١) سورة الأعراف: ١٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٩.

فكّروا معي هنا: لمّا ترين بأنّ الله -عزّ وجلّ- قد بَايَنَ بين النّاس في ألوانهم؛ فالنّاس مختلفون في ألوانهم؛ خِلْقة الله: لمّا يأتي أحد يقول: {أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ} لماذا خير منه؟! هل اجتهدت؟! هل زكّيت نفسك؟! علّمتها؟! انتظمت في سلك العبادة؟ أو أنّك تقول: {أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ} لشأن، الله خصّك به؛ فإنّه لمّا خلقه الله من نار، وخلق آدم من طين؛ هذا فِعْلُ الله؛ فكيف تأتي تتكلّم عن شيء، الله خصّ به بعض النّاس ولم يخصّ به بعضًا آخرين؛ فترى أنّه سبب لأن ترى نفسك خيرًا؛ الخيريّة إنّما تكون بأن تجاهد حتى تستقيم.

دعونا نتصوّر: لو جاء أحد وقال لك: (أنا لوني كذا، وأنت لونك كذا، وأنا خير منك!) بماذا ستجيبين وتقولين له؟

⇐ **أوّل شيء**: نقرّبه من إبليس؛ سنقول له: (هذا مثل كلام إبليس) لأنّ إبليس قال: {أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ} فاغترّ، وتكبّر بفعل الله! أصلًا هذا اختبار وابتلاء أن تكون أنت هكذا! وأنت هكذا!

فحين تسمعون أنّ إبليس يقول ذلك، لا تعتقدوا بأنّ إبليس وحده من يقول ذلك! فإنّه ما شُرِح لك هذا الكلام، وما بُيِّن، وما فُصِّل إلّا لأنّ هناك أناسًا سائرين على نهج إبليس! فأنت تنتبه: لا تكن كذلك، وأيضًا تعرف تميّز السّائرين على نهج إبليس:

الأمر الأوّل: كلّ أحد يقول لك: (أنا خير منك): فإذًا بدأ بفتح باب الكِبْر؛ لأنّ هذا هو مفتاح باب الكِبْر.

ثمّ يأتي الأمر الثّاني: خير منّي! لماذا؟ ما الّذي جعلك ترى أنّك خير منّي؟ لابدّ أن يقول لك شيئًا يتّصل بعطيّة الله. فهذا هو أوّل مفتاح للكِبْر: الافتخار بشيء الله وهبه لبعض النّاس دون بعض.

مثلا نفترض: تأتي تقول لك: (أنا خير منك، عندي أولاد وأنتِ ليس عندك!):

⇐ **أوّل شيء**: شبّهيها بإبليس، قُولي لها: (هذا الكلام مثل كلام إبليس: {قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ} ثمّ أنتِ تفتخرين بعطيّة الله -عزّ وجلّ- الّتي قسمها على الخَلْقِ كما شاء).

الفائدة من كلّ هذه النّقاشات والمقارنات أن نعرف هذا المسلك ما وَضْعُهُ: قارني بين مسلك الملائكة وبين مسلك إبليس.

فإذًا هذا كان كلامه في سورة الأعراف؛ فماذا كان كلامه في سورة الحجر؟

⇐ **الموطن الثّالث في الحجر:** {لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}(١) فالّذي أخبرنا الله به في سورة الأعراف: {أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ}؛ هنا قاله بطريقة أخرى: {لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ} بمعنى أنّه: (هذا الحقير الّذي مادّته كذا!).

تقولين لها: (سلّمي على فلانة)، تقول لك: (لا! أنا لا أسلّم على واحدة كذا وكذا...أصلها كذا وكذا...لونها كذا وكذا...مستواها الاجتماعي كذا وكذا...) نفس المنطق! هذا منطق إبليس؛ فكلّ الّذي نراه من آثار كبائر قلبيّه لابدّ أن تجديها بصورة أو بأخرى في قصّة إبليس.

دعونا نرى الموطن الّذي في ص:

⇐ **الموطن الرّابع في ص:** {قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ}(٢) إذًا ص تشبه الأعراف.

⇐ **الموطن الخامس في الإسراء:** {ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} هذه صيغة استنكار واستحقار، يعني (هل أنا مطلوب منّي أفعل هذا الفعل؟!) يعني هو أعلى من أن يفعل هذا الفعل!

المطلوب الآن:

الخطوة الأولى: قارني وتأمّلي كلّ موطن، ماذا يزيد عن الموطن الثّاني؟

الخطوة الثّانية: انظري للسّياق. سياق سورة البقرة وسياق سورة الأعراف؛ القصّة جاءت في البقرة، وفي الأعراف، في أيّ سياق أتت؟ أتت شاهدًا على ماذا؟ **ألم نتّفق:** بأنّ كلّ قصّة في القرآن تأتي شاهدًا على موضوع السّورة.

(١) سورة الحجر: ٣٣.

(٢) سورة ص: ٧٦.

مدارسة مقدّمة المقصد الثّاني

من الآية (٤٠) إلى (٤٨)

مدارسة مقدّمة المقصد الثّاني من الآية (٤٠) إلى (٤٨)

ما هي المناسبة بين هذا المقطع والمقطع السّابق؟

انتهينا من مناقشة: دعوة النّاس عامّة، والآن نناقش: دعوة بني إسرائيل خاصّة.

هذه الدّعوة الخاصّة:

أوّلا فيها مقدّمة: مقدّمة للمقصد الثّاني.

يقول الله عزّ وجلّ: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٤٠) وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣) أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٤٤) وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ (٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (٤٦) يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٧) وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ}.

أوّل شيء نبدأ كالعادة في المناسبة بين هذه الآيات والآيات السّابقة، أو هذا المقطع والمقطع السّابق، سأُملي عليكم الآن هذا الجزء:

المناسبة بين النّعم الخاصّة ببني إسرائيل وما سبق.

(النّعم الخاصّة ببني إسرائيل): هي الّتي سيأتي الآن الكلام عنها؛ (وما سبق): الّذي هو ابتداء من عند: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ}[1].

(١) سورة البقرة: ٢١.

لمّا أقام الله دلائل:

أوّلًا: التّوحيد، في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}(١).

ثانيًا: النّبوّة، في قوله تعالى: {وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ}(٢).

ثالثًا: المعاد، في قوله تعالى: {فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}(٣).

- ثمّ أتبعها بذكر النّعمة العظيمة بتكريم آدم عليه السّلام؛ الّتي تُؤكّد الدّلائل السّابقة؛ لأنّ نفس خلق آدم يُعتبر دليلًا على توحيد الله، لمّا قال الله –عزّ وجلّ– لنا عندما انتهت القصّة وأخبرنا بإخراج آدم وإبليس وإهباطهم إلى الأرض، قال لهم: {فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى}(٤) فسيأتي الهدى عن طريق الرّسل؛ إذًا هذا إثبات وتأكيد للرّسل؛ ثمّ بعد ذلك قال: {فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}(٥) هذا فيه المعهد؛ إذًا هذا التّأكيد.
- خصّ بني إسرائيل بذكر النّعم الخاصّة على أسلافهم؛ لمصالح ثلاثة.

لاحظوا الجملة: "**لمّا** أقام الله دلائل...، **ثمّ** أتبعها بذكر النّعمة العظيمة...، **خصّ** بني إسرائيل بذكر النّعم الخاصّة لهم لمصالح ثلاثة"؛ دعونا نرى ما هي هذه المصالح الثّلاثة؟

المصلحة الأولى: كسر لعنادهم ولِجَاجِهم.

ماذا يعني (لِجَاجِهم)؟ يعني محاجّتهم، كثرة كلامهم، فهم يلجّون.

---

(١) سورة البقرة: ٢١_٢٢.
(٢) سورة البقرة: ٢٣.
(٣) سورة البقرة: ٢٤_٢٥.
(٤) سورة البقرة: ٣٨.
(٥) سورة البقرة: ٣٨_٣٩.

المصلحة الثّانية: استمالة لقلوبهم.

أين تظهر الاستمالة لقلوبهم؟ أن يُقال لهم: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} أي: كان لكم مكانة؛ ولأنّ لكم مكانة؛ المفترض أن يحصل منكم كذا وكذا وكذا...

المصلحة الثّالثة: استدلالًا على نبوّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بإخباره بالأخبار الغيبيّة.

أين ستكون الأخبار الغيبيّة؟ عندما تقرئين الأخبار عن بني إسرائيل؛ سيأتيك دليلًا على نبوّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ما هو؟ عندما تقرئين كلّ هذا المقطع الّذي فيه خبر عن بني إسرائيل سيكون فيه دليل على نبوّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من جهة إخباره بالغيب، الآن كلّ القصص الّتي ستحكى عن بني إسرائيل؛ من أين أتت للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ أليست من الغيب؟ هناك كثير من هذه القصص والحكايا الحقيقيّة هم كانوا يخفونها، وأنت تعرفين أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لم يُعَلِّمه معلّم، وما جلس -صلّى الله عليه وسلّم- عند بني إسرائيل لأجل أن يتعلّم منهم، فكلّ الّذي يُخبرهم عن حقائقهم؛ سيعتبر دليلًا على صدق نبوّته صلّى الله عليه وسلّم.

إذًا بعدما ذكر الله نعمه على النّاس عامّة؛ ذكر بني إسرائيل خاصّة؛ لأنّهم هم من جاوروا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فالمتوقّع بعد أن يكسر الله -عزّ وجلّ- بهذا الكلام لججهم وحججهم، وبعد أن يستميل قلوبهم، وبعدما يؤكّد لهم أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يوحَى إليه، كان المتوقّع أن يؤمنوا، ويقفوا في صفّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فيكونوا سببًا في إيمان عامّة النّاس.

مرّة أخرى: ألم يكن أوّل مقصد بدأنا به: دعوة النّاس كافّة؟ والآن دعوة بني إسرائيل خاصّة، لماذا يدعو بني إسرائيل خاصّة؟ فنحن فهمنا هذه الأهداف الثّلاثة من خطابهم التّفصيلي؛ لكن لماذا يخصّ بني إسرائيل بالكلام؟ الآن بنو إسرائيل من أهل الكتاب، لو آمن بنو إسرائيل؛ سيؤمن النّاس كافّة، أي جزء من دعوة النّاس كافّة، دعوة بني إسرائيل خاصّة؛ لأنّ إيمان بني إسرائيل سيكون سببًا لإيمان النّاس كافّة.

إذًا ما هي العلاقة بين المقصد الأوّل والثّاني؟

المقصد الأوّل في سورة البقرة: دعوة النّاس كافّة.

المقصد الثّاني: دعوة أهل الكتاب خاصّة الّذين هم بنو إسرائيل.

معنى ذلك: أنّ المقصد الثّاني لو نجح لتحقّق المقصد الأوّل؛ الثّاني الّذي هو دعوة بني إسرائيل فلو دعوة بني إسرائيل نجحت لنجحت دعوة النّاس كافّة؛ لأنّهم قادة؛ لأنّ بني إسرائيل أهل كتاب لو صدّقوا بالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فإنّ باقي النّاس سيصدّقون؛ لأنّهم الّذين عندهم العلم الخاصّ.

إذًا لماذا أكبر مقطع في السّورة من الآية (٤٠) إلى الآية (١٦٢) لدعوة بني إسرائيل؟ لأنّه لو نجحت دعوة بني إسرائيل ودخلوا في الإسلام؛ سيدخل النّاس كافّة.

تذكّري المقاصد فهي مرتّبة بصورة واضحة:

- **المقدّمة**: كان فيها خبر عن الكتاب، وأقسام النّاس في الكتاب.
- ثمّ بعد ذلك كأنّه يُقال: لكيلا تكون من الكافرين أو من المنافقين؛ تعال إلى الإسلام، دعاهم الله إلى الإسلام.
- ولمّا دعاهم للإسلام وظهرت الأدلّة، دعا بني إسرائيل خاصّة؛ لأنّه لو آمن بنو إسرائيل آمن النّاس.

تصوّري العكس: **لو بقي بني إسرائيل يَلُجُّون، ويتكلّمون، ويعارضون، ويشكّكون، كيف يكون الأثر؟** سيُشوّشُ على كثير من النّاس أمر الدّعوة، وهذا بالضّبط الواقع الّذي نعيشه: أنّه بسبب تشويش أهل الكتاب الّذين هم مَن يعرفون الحقّ، ويعرفون أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- حقّ، فإنّ أُناسًا كثيرون مُشوّشون بسببهم!

إذًا اتّضح الآن كيف أنّ المقاصد مرتّبة بصورة واضحة؛ هكذا علم المناسبات واضح، فعرفنا علاقة هذه الآيات بالآيات الّتي قبلها.

دعونا نرجع لمكاننا الآن:

مدارسة الآية الفذّة الآية (٤٠)

سنقرأ الآن الآية الأولى الّتي هي: الآية (٤٠) ثمّ نقسّمها إلى مجموعة جُملٍ، ونرى هذا النّداء:

يقول الله عزّ وجلّ: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ}.

هذه الآية يقول عنها أهل العلم: **"الآية الفَذّة"** يعني المختلفة، المميّزة، الفذّة الّتي ما في مثلها في نداء بني إسرائيل.

سنبدأ أوّلًا بياء النّداء: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} الياء: تدلّ على الاهتمام والاختصاص.

{إِسۡرَٰٓءِيلَ}؟ يعقوب -عليه السّلام- و{إِسۡرَٰٓءِيلَ} كأنّه يُقال: عبد الله، يعني "يا أبناء الرّجل الصّالح".

فالياء تدلّ على النّداء والاختصاص، والاسم أو اللّقب الّذي لُقّبوا به: {إِسۡرَٰٓءِيلَ}؛ فيكون معنى النّداء: "يا أبناء الرّجل الصّالح"وهذا يعتبر تكريمًا لهم. فلم يقل لهم: (يا من كذّبتم رسول الله! يا من غششتم، وفعلتم، وتركتم!) مع أنّ هذه هي سيرتهم الّتي ستتبيّن فيما بعد، لكن في أوّل الأمر تمّ نداءهم بـ: "يا أبناء الرّجل الصّالح".

فإذًا هذا النّداء هو أوّل التّكريم: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} هذه وحدها فيها من التّكريم، والتّفضيل ما فيها:

⇐ ياء النّداء تدلّ على الاختصاص.

⇐ و{يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} يعني يا أبناء الرّجل الصّالح.

نأتي الآن إلى لجملة الثّانية: {ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ} هذه الآية أيضًا فيها من التّكريم ما فيها؛ إشارة إلى نعمة الله الخاصّة، يعني هؤلاء أهل النّعمة الخاصّة.

فإذًا الموعظة لهم ابتدأت بماذا؟

الوعظ الأوّل: {ٱذۡكُرُواْ}: وانظري إلى لَطَافة الأمر: (يا أبناء الرّجل الصّالح، اذكروا الأيّام الّتي أنعم الله بها عليكم) {ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ}.

ولاحظي: كلّ هذه الضّمائر المتّصلة الّتي فيها شيء من التّخصيص: {نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ} خاصّة.

الوعظ الثّاني: الأمر بالوفاء بالعهد، ولكن دعونا نرى أيضًا لطافة هذا الكلام: {بِعَهۡدِيٓ} معناها: أنّهم لهم عهد خاصّ بينهم وبين الله.

المشكلة: تأتي عندما ننظر لمثل هذا على أنّه مجرّد تكاليف! وإنّما أنتم انظروا على أساس أنّ هناك خصوصيّة، يعني لمّا يُقال لهم: {وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ} معناها: أنّ هناك بيني وبينكم عهدًا، وهذا العهد إنّما خُصِّصْتُم به لمّا كان ينزل الوحي على أنبيائكم، وما كان يَسُوسُكُمْ إلّا الأنبياء؛ لأنّ بنو إسرائيل لهم ميزة

عن كلّ النّاس في كون أنّ الأنبياء كانوا يتتابعون عليهم؛ طوال الوقت كان الأنبياء هم من يقودهم؛ ثمّ يأتي الرّسل من زمن إلى آخر.

هل تذكرون قصّة طالوت في آخر سورة البقرة؟ ماذا في القصّة؟ من يكون طالوت؟ هل هو نبيّ؟ لا، كان ملكا، كيف أصبح ملكًا؟ ماذا قالوا؟ {ٱبۡعَثۡ لَنَا} لمن قالوا؟ {لِنَبِيّٖ لَّهُمُ} {ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}(١) ماذا يعني {إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ} معناها: أنّ هؤلاء دائمًا كان يسوسهم الأنبياء، نبيّ بعد نبيّ. فهذا كلّه خاصّيّة لهم: بين بني إسرائيل وبين الله عهود، هذه العهود كيف أُخذت عليهم؟ مع الأنبياء.

ثمّ: {وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ}: أمرهم بالوفاء بالعهد، ووعدهم في الوعظ بأن يوفي لهم بعهده: {أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ}

وهذا شرف، عندما يكون الإنسان بينه وبين الله عهد؛ لكن كونوا مطمئنّين: ليس بنو إسرائيل فقط هم الّذين بينهم وبين الله عهد، كلّ مرّة تقولين فيها: {إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}(٢) هذا عهد بينك وبين الله؛ فأنت تُعاهديه أنّك لا تعبدين إلّا إيّاه، ولا تستعينين إلّا به، وهو –سبحانه وتعالى– أمام هذا العهد منك؛ يعطيك العون ويعطيك الهداية؛ ولذلك أنت في سيّد الاستغفار تقولين: (اللّهُمّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ)(٣).

⇐ (عَهْدِكَ): أنّني لا أعبد غيرك، ولا أستعين بغيرك.

⇐ (وَوَعْدِكَ): أنّك ستعينَني، وستهديني الصّراط المستقيم.

فإذًا هذا كان الكلام عن العهد، معنى ذلك: أنّه ناداهم هذا النّداء اللّطيف، وذكّرهم بالنّعم، وأمرهم بتذكّرها، وأمرهم بالوفاء بالعهد إشارة إلى أنّه بينهم وبينه –سبحانه وتعالى– عهد خاصّ، ووعدهم إن وَفّوْا هُمْ بالعهد؛ وفّى هُوَ لهم.

ثمّ انظروا إلى هذا التّوحيد: {وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ} ولا ترهبوا غيري، هنا التّوحيد بالخوف.

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٦.

(٢) سورة الفاتحة: ٥_٦.

(٣) أخرجه البخاريّ (٥٩٩٠).

ولذلك من خاف من الله كان أشجع النّاس، لماذا؟ لأنّه لا يخيفه شيء! فلا يخاف إلّا من الله، معناها: أنّه إذَا أتى أحد وقال له: (سأمنع عنك كذا...سأفعل فيك كذا...إلخ...) يكون قلبه مطمئنّا أنّه ما سينزل عليه شيء إلّا بأمر الله.

فإذا حصل توحيد الخوف، ذهبت الأمراض النّفسيّة، فأساس الأمراض النّفسيّة، والاضطرابات النّفسيّة، هو ضعف الخوف من الله؛ تَشَتُّت الإنسان بالمخاوف؛ طوال الوقت خائف: (خائف من هذا لا يعطيه رزقه...خائف من هذا لا يحترمه...خائف من هذا أن يستهزئ به...خائف من هذا أن يفعل به كذا...إلخ...) تشتّت هذه المخاوف يسبّب الاضطرابات النّفسيّة! حتّى الخوف من أن لا أكون سعيدًا، والخوف أن أكون وحيدًا!

ولذلك: فإنّ كلّ المعاصي مبتدأها: الخوف على الدّنيا؛ لذلك حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة؛ لأنّ الّذي يخاف على الدّنيا، يشعر بأنّ هذا سيفوته! وهذا سيفوته! وهذا سيفوته...فطيلة ما هو خائف على الدّنيا؛ يكون دائمًا مضطرب...يجري...ويجري!

فمثلًا: الّتي تخاف من ألّا تجد لها زوجًا؛ تسقط في كثير من المعاصي، وهي تظنّ أنّ هذا سيأتي بالزّوج!

ومثلًا: الّذي يخاف ألّا يكون عنده أموال؛ ممكن يدخل في أيّ عمل من أجل أن يأتي بالرّزق! والّذي يخاف أن يفوته مشروعًا ما؛ فإنّه ممكن أن يدخل في الرّشوة لأجل أن يبقى المشروع! وهكذا...

ولذلك: {وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ}: فإنّه لن تعود هناك اضطرابات نفسيّة؛ ويصير الإنسان هادئًا، والّذي يهدّدك؛ تتوكّل على الله في أمره فلا تخاف.

والحقيقة: أنّ توحيد الخوف من أعظم أنواع التّوحيد الّتي تسبّب الطّمأنينة، يعني أنت وحِّد خوفك حتّى لا تبقي مضطربًا، ومرّر هذا على كلّ شيء.

مثلًا: اليوم عندك ضيوف، ممّا تخافين؟ خائفة ألّا تتجمّلين. ألست خائفة؟ فإذًا لابدّ أن يُحشر الخوف في كلّ شيء! لابدّ أن تعرفوا هذا، لابدّ أن تعرفوا أنّ الخوف محشور في كلّ شيء؛ هذه الطّبيعة الإنسانيّة؛ لأجل هذا قيل: {وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ}.

فإذًا أنت الآن خائفة ألّا تتجمّلي، فلا يكون موقفك جيّدًا، ألّا تكون أغراضك جاهزة، ماذا ستقولين لنفسك عندما تمتلكك مشاعر الخوف؟ ستقولين: (توكّلي على الله...آمنت بالله...الله يجمّلنا...الله ييسّر).

إذًا انظري كيف أنّ توحيد الخوف يسبّب الطّمأنينة، فأنت وحّدي خوفك ستأتي لك الطّمأنينة؛ لا تخافي إلّا من الله، أيّ شيء ثانٍ يصير لك فيه اضطراب في الخوف؛ مباشرة قولي: (يا ربّ...).

تصوّري مثلًا: تأتي تنظرين إلى أولادك؛ ثمّ تقولين: (هؤلاء كيف سيكون مستقبلهم؟ ليس هناك وظائف!)، يعني يخيفونك بالاقتصاد؛ فأنت ماذا تقولين؟ (يا ربّ ارزقهم...أعطهم...يَسِّر لهم من حيث لا يحتسبون...) أليس ربّنا حيًّا؟ فإذًا لماذا تخافين من هذا؟

دعونا نفترض: أنّك تخافين على تربيتهم، على إيمانهم، الّذي فعلًا مهمّ أن نخاف عليه، وهذا الخوف صحيح في مكانه؛ ماذا ستقولين؟ (يا ربّ {لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً}[1] فادعي لهم أن يرزقهم ربّنا الإيمان، وأسبابه من حيث لا يحتسبون، وهكذا...

المهمّ أنّك حين تخافين من الله وحده، ويهيج عليك أيّ خوف ثان؛ فإنّك مباشرة تقولين: (لا! لا! هذا ليس مخيف...وهذا ليس مخيف...) هل لا يخيف لأنّك شجاعة فقط؟! أم عندك أسباب ردّ الخوف؟! لا! وإنّما لأجل أنّ عندك رَبٌّ اسمه "**الصّمد**"؛ كلّما يثور عليك الخوف تصمدين إليه؛ ولذلك: {وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ}: وإذَا خفتم منّي، ولم تخافوا أحدًا غيري؛ ستكون قلوبكم مطمئنّة قابلة لكلّ حقّ.

دعونا نفكّر في بني إسرائيل الآن: عندما خافوا على مكانتهم، خافوا أن يشاركهم أحدًا في عزّ النّبوّة؛ لم يقبلوا الحقّ! فحتّى الحقّ لن يقبله الإنسان إذَا كان خائفًا على كذا وكذا...ولذلك فإنّنا إذَا أردنا أن نسأل عن: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدّثَ كَذَبَ)[2] لماذا (إِذَا حَدّثَ كَذَبَ)؟ لأنّه خائف! ولا يعني أنّه خائف من أن يُقتل وإنّما خوفه أن تذهب عليه هذه المصلحة...وهذه المصلحة...ويخاف أن يقول له أحد كذا...لكن إذَا كان لا يخاف إلّا من الله؛ فإنّه سيكون صادقًا بقدر ما يستطيع؛ لأنّه يعلم أنّ المصلحة لن تفوته حتّى لو قال الحقّ.

إذًا قيل لبني إسرائيل: {وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ} لماذا أمرهم بتوحيد الخوف؟ أُمِرَ بنو إسرائيل بتوحيد الخوف؛ لأنّه سبب لقبول الحقّ، وللإيفاء بالعهد. وقد كان كُبَراؤهم وأحبارهم يصدّونهم عن الانتقال إلى الإسلام.

فكأنّه يُقال لهم: لا تخافوا من كُبَرائكم، لا تخافوا من أحباركم؛ لأجل أن تقدروا على قبول الحقّ: كونوا أحرارًا، ولا تخافوا إلّا من الله، لا تخافوا على مصالحكم، على أموالكم، على دنياكم، لا تخافوا إلّا من الله.

(١) سورة آل عمران: ٨.

(٢) أخرجه البخاريّ (٣٣).

بهذا نكون انتهينا من الآية (٤٠) الّتي سمّيناها: **الآية الفذّة**، لا تنسيها فهي أوّل النّداء، ولاحظوا الفرق بين: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} و {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}؛ ما هو الفرق بين: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ} و{يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ}؟

{يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ}: يا أبناء الرّجل الصّالح، أي ثناء، ومدح لهم.

الآن عدُّوا معي الأوامر الّتي أُمِروا بها، إلى هنا هناك ثلاث أوامر:

الأمر الأوّل: {ٱذۡكُرُواْ}.

الأمر الثّاني: {أَوۡفُواْ}.

الأمر الثّالث: {وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ}.

اذكروا النّعمة، وأوفوا بالعهد، ووحّدوا الرّهبة أو وحّدوا الخوف.

مدارسة الآية (٤١)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ}.

الآية السّابقة مهّدت الأمر، كلّ الكلام فيها كان عن نفس بني إسرائيل، يعني يا أبناء الرّجل الصّالح اذكروا النّعمة الّتي خُصّصتم بها، وأوفوا بالعهد الّذي بينكم وبين الله، ووحّدوا الله؛ كلّ هذا بمثابة التّمهيد، ثمّ بعد ذلك جاء المقصود الآن، فما هو المقصود؟ {وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ} ما الّذي {مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ}؟ التّوراة أم القرآن؟ القرآن مصدِّق للتّوراة؛ إذًا المقصود: {ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ} الّذي هو القرآن {مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ} الّتي هي: التّوراة.

هذه الجملة الأولى، سمّيناها **المقصد**، وفيها أمر.

ثمّ بعد ذلك الجملة الثّانية فيها نهي: {وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ}.

والنّهي الثّاني: {وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا}.

والأمر الرّابع: {وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ}.

الآن فكّروا وأنجزوا علاقة بين هذه الأربعة؟

الآن: {وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ} الأمر واضح بالإيمان، سيناسبه النّهي عن الكفر، يعني ستصير العلاقة: آمنوا ولا تكفروا؛ لكن هناك ميزة هنا: فليس فقط لا تكفروا؛ وإنّما: {وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ} كأنّ المطلوب: وكونوا أوّل من يؤمن به.

إذًا جملة النّهي تتضمّن أمرين:

الأمر الأوّل: تتضمّن النّهي عن أن يكونوا أوّل من كَفَرَ.

الأمر الثّاني: والأمر بأن يكونوا أوّل من آمن.

{وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّيَ فَٱتَّقُونِ} ما علاقتها بما مضى؟

بني إسرائيل يخفون الآيات الدّالة على صدق النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لأجل المصالح الدّنيويّة؛ إذًا ما معنى {تَشۡتَرُواْ}؟ مثلما قلنا هنالك بعدما انتهينا من الكلام عن الكفّار والمنافقين: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ}[1] يعني باعوا الهدى واشتروا بدلًا عنه الضّلالة.

فإذًا المعنى الآن: {وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا} يعني لا تُخفوا الآيات الدّالّة على صدق النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– من أجل شيء من الدّنيا.

وإن لم يخفوا الآيات الدّالّة لكان الواجب عليهم أمران: أن يؤمنوا، ولا يكفروا؛ يعني كأنّ {وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا} حضٌّ على الأمرين السّابقين: الإيمان، وعدم الكفر.

إذًا الآية فيها أربع جمل:

الجملة الأولى: {وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ}.

الجملة الثّانية: {وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ}: هذا أمر ونهي.

الجملة الثّالثة: {وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا} تُعتبر بالنّسبة للآيات السّابقة حضّ على امتثال الأمر واجتناب النّهي.

الجملة الرّابعة: وخُتمت بقوله تعالى: {وَإِيَّيَ فَٱتَّقُونِ} تُشبه: {وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ}.

---

(١) سورة البقرة: ١٦.

{وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ}: توحيد الخوف، وهنا: توحيد التّقوى، فأمرهم بتوحيد التّقوى مثلما أمرهم بتوحيد الخوف، أي لا تتّقوا غضب أحد إلّا الله، لا تتّقوا سخط أحد إلّا الله، لا أحد يستحقّ أن تتّقيه، وتخاف من سخطه، وتطلب رضاه، إلّا الله؛ فصارتا متطابقتان: {وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ} و{وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ}.

ولاحظوا: {وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ} سترجع بنا مرّة ثانية إلى **التّقوى**، أين مرّت علينا **التّقوى؟**

فقط في أوّل السّورة؟ و{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} يعني كأنّها **مفصليّة**:

١. في أوّل السّورة أتى الكلام عن **التّقوى**.

٢. ولمّا جاء المقصد الأوّل أتى الكلام عن **التّقوى**.

٣. ولمّا جاء المقصد الثّاني أيضًا أتى الكلام عن **التّقوى**.

دعونا نعدّ من أوّل الكلام كم أمرًا وُجِّهَ لهم؟ (يا أبناء الرّجل الصّالح)

١) اذكروا النّعمة الخاصّة.

٢) وأوفوا بالعهد الخاصّ.

٣) ووحّدوا الخوف.

٤) وآمنوا بما أنزلت مصدّقًا لما معكم.

٥) وكونوا أوّل من آمن ولا تكونوا أوّل من كفر.

٦) ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا.

٧) وإيّاي فاتّقون.

مدارسة الآية (٤٢)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}.

ما هو المنهي؟ كَمْ {لَا} قِيلَتْ لهم في هذا السّياق؟

أوّلًا: {وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ} يعني كونوا أوّل المؤمنين.

ثانيًا: {وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا} يعني كونوا صادقين.

ثالثًا: {وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ}: هذه حالة.

رابعًا: والحالة الثّانية كأنّه قيل: ولا {تَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}.

فصارت نقطتان: لا تلبسوا الحقّ بالباطل ولا تكتموا الحقّ وأنتم تعلمون، فما الفرق بينهما؟

- كتم الحقّ يخفيه تمامًا.
- أمّا لبس الحقّ بالباطل؛ فإنّ معناه: يتكلّم عن الحقّ، يأتي بالحقّ، يعرض الحقّ؛ لكن يأتي به من وجه باطل، يعني بصورة تورث الباطل أو تصل إلى الباطل.

هل الأمران سيّان؟ نعم؛ ولذلك قيل: {وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ} فنُهوا عن هذا، ونُهوا عن هذا؛ ولبس الحقّ بالباطل مثَله: حين يأتي أحد يتكلّم عن الحجاب ؛ فالحجاب أحسن مثال في لبس الحقّ بالباطل؛ لأنّهم عندما يأتون إلى الحجاب، يبدؤون أوّل الأمر في التّشكيك في حكم غطاء الوجه، ويأتون بالأدلّة الّتي في النّصوص الغير محكمات -المتشابهات- بحيث أنت حين تنظرين للأدلّة تقولين: (هؤلاء الّذين يقولون بحكم كشف الوجه معهم دليل!) لكنّ هذا الدّليل الّذي تكلّموا عنه؛ إنّما هو من المتشابه، وليس من المحكم! ويأتون للدّليل المحكم ويكتمونه!

فلكي تستوي المسألة لابدّ أن يفعلوا الفعلين يأتون إلى أدلّة صحيحة ويعرضونها بوجه يسبّب اللّبس! ما الّذي سيكشف اللّبس؟ أن يأتوا بالدّليل الصّحيح الّذي تركوه، وكتموه!

ولأجل أن تفهمي هذه المسألة جيّدًا؛ هناك رسالة صغيرة جدًّا للشّيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في الكلام عن الحجاب، تبيّن لك ما هي الأدلّة الّتي يستعملونها من أجل لبس الحقّ بالباطل، وما هي الأدلّة الّتي يكتمونها من أجل ألّا ينكشف اللّبس؟

فإذًا لماذا قيل: {وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ}؟ لأنّ لبس الحقّ بالباطل لن يتمّ على مَنْ أُلْبِسَ عليهم؛ إلّا إذا كُتِمَ جزء من الأدلّة.

لذلك حين تنتهين من البقرة، وتذهبين إلى آل عمران؛ تسمعين: {مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ}(١).

فالمقصد أنّ المسألتين متلازمتان. والمطلوب وأنت تحفظين؛ ألّا تنسي التّلازم بين لبس الحقّ بالباطل، وبين كتم الحقّ؛ لأجل ذلك ما جاءت {لَا} مرّتين، بل جاءت مرّة واحدة: {وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ} لأنّ الأمرين لابدّ أن يصيرا معًا؛ أن يلبسوا الحقّ بالباطل ويكتموا الحقّ؛ لأجل أن يصحّ لهم لبس الحقّ بالباطل.

{وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} هنا المشكلة! أنّهم يعلمون الحقّ من الباطل، ويعلمون أنّهم يكتمون الحقّ، وأنّهم يلبسون الحقّ. لكن من يعلم هذا؟ اليهود والنّصارى الّذين عندهم أجندة، وأتوا ينقّذونها على أهل الإسلام هم الّذين يعلمون الحقّ من الباطل، ويعلمون كيف يستعملون إلباس الحقّ بالباطل، وكتم الحقّ.

ولذلك: فإنّ الكثير من الشّخصيات الّتي تظهر في الإعلام، يُلَمِّعُونها جيّدًا؛ لأجل أن تتكلّم عن لبس الحقّ بالباطل، يعني هو لا يأتي يقول لك: (اتركي دينك)، (تعالي اعبدي بوذا...أو اعبدي كذا وكذا...) لو قال لك ذلك؛ فإنّك ستقفلين ولن تستمعي! لكنّه سيأتي بالحقّ ويُدخل في وسطه الباطل، يعني يُغطّي الحقّ ويكتم الحقّ تمامًا من جهة، ويأتي إلى نوع من الحقّ يمكن أن يُلبس فيه؛ فيعرضه على النّاس بما يسبّب لهم اللّبس!

أو يعرض لك على أساس أنّه يريد نصرة الدّين! بينما تكون عنده أجندة معيّنة، والّذي يعرف كُتب المستشرقين؛ يعرف أنّ هذا فتح كتب المستشرقين، وحفظها كما هي؛ وجاء عرض نفس إشكالات المستشرقين! الّذين هم الكفّار الّذين تعلّموا -كما يقولون- دين الشّرق، وأظهروا الشُّبه عليه.

ولذلك فإنّه قبل أن يكون الإعلام بهذه الدّرجة أنّه يُسمح لكلّ صاحب شُبه أن يظهر فيه؛ كانت الجرائد هي أوّل من قامات بهذه العمليّة، هذا العمل المجيد عندهم، كانت الجرائد تقوم به! يعني ٤ أو ٥ جرائد في البلد؛ هذه تفتح الموضوع، وهذه تردّ عليه، وهذا الثّالث يشكّك في الكلام، وهذا الرّابع يصل بك إلى أنّك تجدين أنّ هذا الموضوع كأنّه هو الموضوع الأساسي!

(١) سورة آل عمران: ٧.

مثلما مرّ علينا الكلام كثيرًا حول حكم إرضاع الكبير؛ فقد طرحوه كثيرًا وكأنّ الأمّة ما فيها إلّا هذه القضيّة، وكأنّها هي قضيّة القضايا! لكن هذا يتكلّم...وهذا يتكلّم...وهذا يتكلّم...إلى أن يشوّش عليك؛ وبعد أن تخرجي من التّشويش تشعرين: (ما هذا الدّين؟! ما هذا الدّين المشوّش؟! وفيه هذه الأحكام!).

أو يأتيك يقول: (ما حكم علاج الرّجل لزوجته؟؛ فيخرّجون لك فتوى مدفونة أنّه: (لا يجب على الزّوج تطبيب زوجته) فتثور الجماعة، وتثور! وهذا يردّ يقول: (لا! هذه فتوى مرجوحة، وهذا قول مرجوح...)! إلى أن تتوهي معهم، وتخرجي بنتيجة: لا تدري ما هو الموضوع؟! لكن المهمّ أنّه فقط يلبّس عليك! فهذه أجندة يحفظونها هكذا؛ ويضعونها: (افعلوا كذا...) إلى أن يشتّتوهم في كذا...وكذا...فقط وانتهى الموضوع!

بالنّسبة لنا، ما الّذي يردّ علينا كلّ هذا؟ يردّ عن هذا كلّه أمران:

الأمر الأوّل: العلم الصّحيح.

الأمر الثّاني: وسَدّ الأذن تمامًا عن المصادر المشكوك فيها الغير صحيحة.

فالمصدر المشكوك فيه؛ والّذي يخرج لك في كلّ فترة بمثل هذا الكلام؛ أصلًا لا تسمعي له! لا تقولي: (أنا يعجبني هذا الأسلوب...) خصوصًا حين تعرفين أنّ هؤلاء القوم هناك من يحميهم، وينفق عليهم، لكيلا تظهر عليهم مظاهر السّنّة!

وعلى كلّ حال؛ فإنّ علامتهم الواضحة تمامًا: مُحاربتهم للسّنّة! أوّل ما يخرج يقول لك: (البخاريّ فيه... أبو هريرة...) فهذه هي العلامة المميّزة لهم كلّهم: بُغضهم لسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وللمعلوميّة فإنّ مثل هذا ما يُجدي وما يقع في نفوس إلّا النّاس الّذين يقفون في الوسط؛ الّذين لم يتّضح لهم طريق العلم؛ لأنّ أيّ أحد سيقرأ البخاريّ، ويفهم فقط كيف عقد أبوابه، وكم تحمل من العلم، ومن هم رجال البخاريّ، وكيف يميّزهم؛ سيعرف تمامًا أنّ كلّ هذا باطل! لكنّ النّاس يستجيبون حين يكونون أصلا لا يعرفون العلم، ولا يعرفون طريقه، ولا يعرفون كيف يتحقّقون من الحقّ.

فهذه هي وسيلتهم الدّائمة في كلّ زمان؛ لبس الحقّ بالباطل، وأيضًا كتم الحقّ.

إذًا، أوّل المسألة: {لَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ} فهم كفروا.

- وسبب كفرهم: أنّهم اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا.
- الوسيلة أنّهم لبسوا الحقّ بالباطل، وكتموا الحقّ؛ إذًا هذا في حكم الوسيلة.

مدارسة الآية (٤٣)

يقول الله عزّ وجلّ: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ}.

إذًا هذا ما يجب عليهم من الشّرائع؛ ولكن هل يقيمون الصّلاة، ويؤتون الزّكاة، ويركعون مع الرّكعين على دينهم أم على ديننا؟ على ديننا، فهذا يدلّك على أنّ الصّلاة والزّكاة شرع الله في كلّ الأديان؛ بل حتّى الصّوم، وحتّى الحجّ؛ فلذلك: الأركان الخمسة في الإسلام، والأركان السّتّة في الإيمان: أركان مشتركة في الأديان؛ فكلّ الأديان بنفس الصّورة:

في الإيمان: كلّ الأديان تأمرهم بالإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرّسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر.

الأركان الخمسة في الإسلام: كلّ الأديان تأمرهم بالشّهادة، والصّلاة، والصّيام، والزّكاة، والحجّ.

فالأركان الخمسة في الإسلام، والأركان السّتّة في الإيمان؛ ممّا هو مشترك في الأديان؛ ولذلك هي: أركان الإسلام؛ ولذلك فإنّه من يترك هذه الأركان يهدّ الدّين. ولهذا قاتل أبو بكر –رضي الله عنه– من حبس الزّكاة، واعتبر قتاله قتال الكفّار؛ لأنّ هذا ركن يعتمد عليه الدّين في ديننا وفي كلّ الأديان.

فالآية الّتي أمامك تدلّ وتؤكّد على ذلك والدّليل أنّه قيل لبني إسرائيل: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} الّتي أنتم تعرفونها، بمعنى: أنّه في دينكم هناك: صلاة، وفي دينكم هناك: زكاة.

ولمّا قيل لهم: {وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ} معناها على أيّ منهج تقيمون الصّلوات؟ فإنّ {ٱلرَّٰكِعِينَ} هم الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– وصحابته الكرام، يعني على دين الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

إذًا هذه الشّرائع الّتي تلزمهم، ليست غريبة عليهم: سواء إقام الصّلاة، أو إيتاء الزّكاة.

بهذا –الحمد لله– نكون قد عرفنا الأوامر الموجّهة لهم. نأتي الآن إلى شيء من عتابهم؛ فالله –عزّ وجلّ– يعاتبهم الآن:

مدارسة الآيات (٤٤_٤٦)

يقول الله عزّ وجلّ: {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٤٤) وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ (٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ}.

الخطاب الآن لبني إسرائيل، قال الله –عزّ وجلّ– فيه: {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ} إذًا هذه هي الصّفة المذمومة: وهي الأمر بالبرّ، وترك النّفس من هذا البرّ؛ سنناقش هذه القضيّة من جهتين:

١. من جهة بني إسرائيل عمومًا.

٢. ومن جهتنا خصوصًا.

من جهتنا خصوصًا: أنتم اقرؤوها في تفسير الشّيخ السّعدي، هو سيناقشكم ماذا يُقصد بالنّسبة لنا نحن: متى نأمر النّاس بالبرّ وننسى أنفسنا؟

لكن دعونا الآن نفكّر في بني إسرائيل أنفسهم؛ هم يأمرون النّاس بالبرّ؛ أين أمرهم بالبرّ؟ بنو إسرائيل أمروا مَنْ بالبرّ؟

أتباعهم، أين أمرهم بالبرّ لأتباعهم؟ أليس هذا السّؤال منطقي؟ {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ} من هم النّاس الّذين يأمرونهم بنو إسرائيل بالبرّ؟ يأمرون أتباعهم. الأحبار والرّهبان يأمرون أتباعهم أمرًا لازمًا بأن يؤمنوا بكتاب الله، ويؤمنوا برسول الله، يقصدون: موسى عليه السّلام؛ ويؤمنوا بأمر الله بالصّلاة، وأمر الله بالزّكاة، يعني هم مجتمع متديّن وليسوا مجتمعًا علمانيًّا دنيويًّا، فالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– جاء على بني إسرائيل وهم مجتمع متديّن. بسبب أنّ فيه أحبار ورهبان، تأمرهم بالإيمان.

إذًا الإيمان عندهم ذا قيمة، والصّلاة ذات قيمة، والزّكاة ذات قيمة، والأعمال الصّالحة كلّها ذات قيمة، هل أتى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يدعوهم إلى شيء غير الإيمان؟

لا، بل دعاهم إلى ما يعرفونه؟ قال تعالى: {مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ} يعني جاء الرّسول بالشّيء بالضّبط الّذي يدعون إليه، قال لهم: آمنوا بالله، أقيموا الصّلاة، آتو الزّكاة، بالضّبط مثلما كانوا يدعون؛ إلّا أنّ الزّيادة هنا: أنّه مَنْ الرّسول الّذي سيؤمنون به؟ محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– وهل إيمانهم بمحمّد –صلّى الله عليه وسلّم– سيلغي إيمانهم بموسى؟ لا! بالعكس؛ إنّما هو {مُصَدِّقًا} لما معهم.

معنى ذلك: {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ} من هُمْ {ٱلنَّاسَ}؟ أتباعهم من اليهود.

وأنت ذكّري نفسك بأن تكتبي:

⟸ إنّ اليهود الّذين جاء إليهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كانوا مجتمعًا متديّنًا.

⟸ فجاءهم بدين من عند الله، وعلامته: أنّه مصدّق لما معهم؛ فبعد أن كان الأحبار والرّهبان يأمرون النّاس بالإيمان، كفروا!

فإذًا مادمتم تأمرون النّاس بالإيمان، كيف حين يأتيكم الإيمان لا تؤمنوا به؟! {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ}.

فإذن عرفنا مَنْ المخاطبين، وعرفنا مَنْ هُمْ {ٱلنَّاسَ}؟ فهذان هما الكلمتان اللّتان لابدّ أن نفهمهما:

- {أَتَأۡمُرُونَ}: الكلام عن الأحبار والرّهبان.
- {ٱلنَّاسَ}: أتباعهم.
- {ٱلۡبِرِّ}: الإيمان.
- {وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ} لمّا جاءكم الرّسول.
- {وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ}: وحالكم أنّكم تتلون الكتاب.
- {أَفَلَا تَعۡقِلُونَ} يعني كيف لا يكون لديكم عقل؟! فنفس الّذي تدعون أتباعكم إليه؛ أتى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يدعوكم إليه؟! فكيف من اليمين تقولون لأتباعكم آمنوا؟! ومن اليسار أنتم تكفرون؟! بنفس المعاني! بنفس الأمور!

ولذلك فإنّ هذا الّذي لابدّ أن تفهميه فيما سبق، يعني قيل: {وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ} ثمّ بعد ذلك قيل: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} يعني كلّ هذه الأمور بالنّسبة لهم معروفة مشهورة؛ فكأنّهم يعاتبون على ردّهم دين النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ليس فقط مع علمهم؛ وإنّما زائد عن علمهم: {وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} فالآن نحن وصلنا إلى مرحلة أعلى منها: يعني هم ليسوا فقط يعلمون الحقّ؛ وإنّما هم يأمرون بهذا الحقّ؛ ولمّا جاء الحقّ عليهم: رفضوه. وهذه صفة خطيرة جدًّا في الإنسان، يعني أَمْرَهُم النّاس بالبرّ هُنَا، ما هو إلّا مِنْ باب التّعالي والسّلطة، وليس من باب طلب رضا ربّ العالمين.

يعني تصوّروا أنتم هؤلاء: كأنّهم أهل الدّعوة، الّذين يخرجون للدّعوة؛ اتّخذوا الدّعوة مهنة! واتّخذوا الدّعوة سببًا للعلوّ على النّاس فقط؛ لأجل أن يصيروا الآمرين النّاهين! فيصيروا الآمرين النّاهين هنا بسلطة ربّ العالمين! بسلطة الدّين! يعني ما أمروهم لأجل الله، ولا نشرًا لدين الله، ولا رفعًا لراية الحقّ؛ إنّما هو باب قدروا أن يتميّزوا فيه؛ فدخلوه من أجل أن يصير لهم سلطة وعلوًّا! فهؤلاء أناس يتسلّطون من أجل أنّ عندهم مال، وهؤلاء يتسلّطون من أجل أنّ عندهم جاه، وهؤلاء يتسلّطون من أجل أنّ عندهم علم؛ فيصير العلم فقط للوجاهة والسّلطة.

فمثلا تصوّري: أنّه قال لهم: (تصدّقوا بهذا المال لهذا الوجه) فتصدّقوا مساكين لهذا الوجه مثلما أمرهم! ثمّ بعد ذلك صار في قلوبهم حبّ للصّدقة؛ فجاؤوا يوما من الأيّام ووجدوا حالة من الحالات تصدّقوا لها؛ فجاءهم قال لهم: (لماذا تتصدّقون؟ هل أنا أمرتكم؟ لمّا آمركم عندها فقط تفعلون!)، ألم تنهج لهم أنت النّهج الصّحيح! أم أنّك تريد أن تصير أنت المسيطر؟! أنت الّذي تتخذ القرار؟! أنت الّذي توجّههم يمينًا ويسارًا؟!

فالنّفوس عندما تكون مريضة بحبّ الدّنيا؛ تجعل الدّين سلّمًا للوصول إلى الأغراض الدّنيويّة؛ وهؤلاء كانوا أحسن مثالًا على ذلك. وكلّ واحد من أهل الإسلام يفعل نفس الفعل؛ يشبههم في ذلك.

نقول هذا الكلام من أجل أن تفهموا كلام الشّيخ السّعدي في: ما هو الفرق بين أنّنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وممكن ألّا نكون من أهله!

تصوّري: يأتيك أحد عنده ضيق؛ فتقولي له: (ليس هناك مثل الاستغفار! أوّل ما يأتيك الضّيق الزم الاستغفار؛ فيجعل الله –عزّ وجلّ– لك من كلّ ضيق مخرجًا)؛ ثمّ بعد ذلك تقولين لنفسك: (لكن أنا لا ألزم الاستغفار!) مثلًا؛ فتقولي: (إذًا أنا آمر النّاس بالمعروف، ولا أفعله!)!

لا! ليس هذا هو المقصود من الآية! إذَا أمرت النّاس بالمعروف الّذي هو المعروف؛ وأنت تقاعست عن القيام به كسلًا؛ فإنّ هذا ليس مثل حالتهم هم! حالتهم أنّهم اتّخذوا الدّين سُلطة على النّاس! بينما أنت لم تتّخذي الدّين سُلطة؛ وإنّما أنتِ تقاعستِ.

مثلًا: تقولين لها: (أنا قرأت كثيرًا عن قيام اللّيل، شيء لا يوصف من جهة انشراح الصّدر عند قيام اللّيل؛ فهذه السّاعة أو النّصف ساعة الّتي يقوم فيها الإنسان في اللّيل، تُدخل على قلبه من البهجة ما الله به عليم) وتكونين أنت قد قُمت اللّيل فترة من الزّمن، وذقت ماذا يعني قيام اللّيل؛ ثمّ بعد ذلك تكاسلت عن ذلك لأيّ سبب، ولكنّك لازلت تقولين للنّاس: (إنّ قيام اللّيل...إنّ قيام اللّيل...).

لا تقولي لنفسك: {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ} فليس هذا مكان هذه الآية؛ لأنّ الشّيخ السّعدي[١] قسّم واجب النّاس إلى واجبين:

الواجب الأوّل: قيامهم بالمعروف.

الواجب الثّاني: أمرهم بالمعروف.

فإذَا قصّر في القيام بالمعروف؛ فإنّ هذا لا يسمح له بالتّقصير في الأمر بالمعروف. فهذا كلام آخر غير هذا الكلام.

لأجل ألّا تُستخدم الآية في غير مكانها؛ لكيلا يلبّس عليك الشّيطان، ولا يجعلك تأمرين بالمعروف حتّى لو لم تكوني تقومي به. يعني لأيّ سبب تركت فيه أمرًا من أوامر الله –طبعًا أقصد النّوافل ولا أقصد الفرائض– لكنّك ذقت طعمها، أو دعونا نقول: كنت تصومين الإثنين والخميس؛ ثمّ لم تعد صحّتك تُساعدك على ذلك؛ تركك للصّيام شأن، وتذكيرك للنّاس بالصّيام وأجره شأن آخر؛ المهمّ: (لَا تَحۡقِرَنَّ مِنَ ٱلۡمَعۡرُوفِ شَيۡـٔٗا)[٢] المشكلة أنّنا دائمًا نحسّ أنفسنا: (بأنّنا مذنبون، وأنّ عندنا خطايا كثيرة، وأنّ عندنا مشاكل، فكيف لي أن أقول للنّاس: افعلوا أيّ شيء؟!)

لا! فإنّ هذا من وسواس الشّيطان! ولا تُدَخِّلُوا هذه الآية في المعنى القائم في أذهانكم؛ فإنّ هذا معنى آخر.

ولأجل أن نتّفق اكتبوا على الآية: من مظاهر مرض العُلوّ.

يعني {أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ}: هذا مرض، كبيرة من الكبائر، العلوّ على الخلق، يريد أن يتحكّم فيهم، يبقى يقول لهم: (افعلوا كذا وكذا...) لكنّه لا يفكّر في نفسه! لكن هناك فرق بين ذلك وبين أن تكوني قد عرفت المعروف وما استطعت أن تقومي به؛ لكنّك تأمرين النّاس به.

مثلًا تأمرين النّاس بالإنفاق: أنتِ لا تريدين منهم أن يُعطوك! لكن تريدين منهم أن ينتفعوا بمالهم؛ لأجل أن يمتّعوا أنفسهم بالإنفاق؛ لأنّ كلّ النّاس الّذين عندهم أموال؛ إنّما هُم خَزَنَةٌ على أموالهم، مثل: الحارس

(١) تفسير السعدي، البقرة الآية (٤٤): (وإلّا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.)

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٨٩).

على باب الخزنة؛ ماله إلّا أن ينفق وينفق؛ ثمّ بعد ذلك إذَا أكمل وظيفته، ذهب إلى قبره، وذهبت هذه الخزنة الكبيرة إلى غيره، وهو يحاسب على كلّ الّذي كان في الخزنة!

ولأجل أن تتّضح الصّورة، تصوّري: شخص مدخّن يدخل على طبيب، ويقول له: (صدري يؤلمني) فيقول له: (اترك التّدخين) والطّبيب نفسه يدخّن! فيقول له: (تقول لي اترك التّدخين وأنت تدخّن؟!) فيقول له: (أنا طبيب؛ إن أردت أن تسمع الكلام جزاك الله خيرًا، وإن لم ترد فهذه رئتك الّتي ستمرض؛ وأنا مسؤول عن نفسي وأنت مسؤول عن نفسك).

فانظروا موقف الطّبيب: هو الآن يدخّن، هل لأنّه يدخّن لن يأمر المريض بأن يترك التّدخين؟ لا! لابدّ أن يأمره، وإلّا فإنّه يكون خان وظيفته، خان مسؤوليّته، خان القسم الّذي أقسمه.

فإذًا تخيّلوا أنفسكم بهذه الطّريقة –إن شاء الله– يأتي اليوم الّذي تطبّبون فيه قلوب الخلق من أمراضها؛ فحين تأتي تطبّب قلوب الخلق؛ حتّى لو كنت مقصّرًا في تطبيب قلبك؛ لكن على الأقلّ صف لهم، علّ وصفك للدّواء لغيرك يكون بداية الشّفاء لك؛ فإنّ هناك دوران مختلفان: لأنّ قلّة الاهتمام بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر في زمن الفتنة تُسبّب شيوع الفتنة.

فالحيل الشّيطانيّة تجعل الشّخص يستشهد بالآية؛ ويجد لنفسه مخرجًا شرعيًّا لترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر!

أسأل الله –عزّ وجلّ– أن يبقي الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويرفعه عاليًا، ونكون سببًا لرفعة هذا الأمر العظيم، ونكون منارة لنشر الإسلام في كلّ مكان، نحن وذرّيّتنا والمسلمين، اللّهمّ آمين.

إذًا خرجنا من الآية (٤٤) بالأمر بقبول الحقّ.

بعدما أُمروا بِقَبُول الحقّ، ما معنى: {وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ}؟ لكي يحصل قبول الحقّ: {ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ} أي أنّ الصّبر والصّلاة أداتان معينتان على قبول الحقّ؛ فإنّ نفسك لا تقبل الحقّ بسهولة؛ فلا تقولي: (أنا أحبّ الحقّ وأقبله) وتصير هناك ثقة في النّفس! لا! فإنّه ليس كلّ حقّ يقبله الإنسان؛ قد تأتي أمور تكون مضادّة لهواك؛ فلا تستطيع أن تقبلها، فلأجل أن تقبل الحقّ لابدّ أن تمرّن نفسك على أمرين: الصّبر والصّلاة.

{وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ} يعني استعمال الصّبر والصّلاة، والاستعانة بهما لقبول الحقّ كبيرة؛ لكن الخاشعين يُمكّنهم الله من هذا.

مدارسة الآية (٤٦)

يقول الله عزّ وجلّ: {ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ}.

إذًا الآيتان: (٤٥) و(٤٤) متّصلتان، وكذلك الآية (٤٦) متّصلة غاية الاتّصال:

{ٱلَّذِينَ} من هم؟ {ٱلۡخَٰشِعِينَ}.

من هم {ٱلۡخَٰشِعِينَ}؟ {ٱلَّذِينَ}: اسم موصول يفيد الوصف وليس الاسم، {ٱلَّذِينَ} صفتهم كذا {ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ}.

هاتان الجملتان مثل بعضهما: {مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ} و{وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} ما هي الدّلالة؟

أنّ الإيمان بالله واليوم الآخر أعظم مورد للخشوع.

إذًا:

- **قبول الحقّ**: لا يكون إلّا بالاستعانة بالصّبر، والصّلاة.
- **والدّافع للمجاهدة**: ذكرى الدّار الآخرة، واليقين بها.

إن شاء الله في اللّقاء القادم نفرّق بين الجملتين؛ لكن سننبّه تنبيهًا هنا: أنّ هذا الكلام معناه: أنّ الدّنياويّين من علاماتهم المهمّة: (الدّنياويّون: سواء سمّيتموهم علمانيّين، أو سمّيتموهم ليبراليّين، أو خرج أيّ اسم جديد لهم؛ فهذا ليس مشكلتنا) لكن المهمّ أيّ واحد يقول لك: (الدّنيا...والدّنيا...) وأوّل ما تذكّرينه بالدّار الآخرة، وتقولين له: (اعمل فقط للآخرة، فكّر في الآخرة، نحن لا نريد المصالح الدّنيويّة ونريد المصالح الأخرويّة!)؛ فإنّه ما يهتمّ بذلك! هؤلاء صعب عليهم جدّا قبول الحقّ؛ فمن صفات الدّنياويّين صعوبة قبول الحقّ.

الآن دعونا نفكّر في أنفسنا: بقدر نسبة الدّنيويّة في أنفسنا، بقدر نسبة صعوبة قبول الحقّ؛ فلكي تعرفي نفسك أين هي:

- انظري حين يُعرض عليك الحقّ: كم هو صعب عليك قبوله؟
- ولا تستعجلي وتقولي: (إنّ الحقّ يسير عليّ قبوله!) لأنّ هذه الكلمة تأتي بالابتلاءات! لكن أنت: اطلبي من الله العون لقبول الحقّ.

إذًا سنتّفق: أنّ السّبب الرّئيس لعدم قبول الحقّ: حبّ الدّنيا؛ لأنّ قبولك للحقّ صعب سيكلّفك تكاليفًا، أعمالًا، وأوضاعًا، وأقوالًا؛ فلذلك أهل الدّنيا لا يقبلون الحقّ!

وقد مرّ معنا سابقًا: أنّ أهل الدّنيا عندما لم يستطيعوا أن يقبلوا بأنّ هناك يومًا آخر، وأنّ هناك حسابًا؛ وباقٍ في قلوبهم أنّ هناك شيئًا غيبيًّا! باقٍ في قلوبهم أنّ هذه السّماء ليست هكذا فقط! أكيد أنّ هناك شيئًا! فبدلًا من أن يقولوا: (الملائكة تنزل! أمر الله ينزل مع الملائكة!).

وبدلًا من أن يقولوا: (آثار قيّوميّة الله) فإنّهم يقولون لك: (في الكون هناك كائنات فضائيّة! وقد اتّصلنا بها، وجاءت...وراحت...) ويخترعون لك اختراعات! لا يقدرون أن يخرجوا من مشاعر: (أنّ هناك شيء في الكون) وفي نفس الوقت لا يريدون أن يقولوا: (أنّ هذا الّذي في الكون: الملائكة، الله...) فيأتوا لأنفسهم بشيء ليس وراؤه تكاليف! لأنّهم لو قالوا: (الملائكة موجودة...)، لو قالوا: (تتنزّل من السّماء...) لو قالوا أيّا من هذه الحقائق؛ سيكلّفهم: الإيمان، والعمل الصّالح، والاستقامة، وكلّ هذا...لكن لأجل ألّا يدخلوا في هذه التّكاليف، ويُغطّون نفس مشاعرهم في أنّ أكيد هناك شيء؛ فيقولون لك: (الكائنات الفضائيّة!)؛ ثمّ بعد ذلك ينشؤون مؤتمرًا كبيرًا، على أنّهم تواصلوا مع الكائنات الفضائيّة، وجاءتهم ذبذبات الرّاديو الّتي فيها كذا وكذا، وبعد أن ينتهوا من المؤتمر، ويكونوا قد دفعوا فيه أموالًا كثيرة؛ يقولون لك: (ظهر أن الذّبذبات كذا وكذا...) يعني أنت فقط خذ واسمع هذا الكلام!

المقصد: أنّه مادام دنيويّا؛ فإنّه يصعب عليه قبول الحقّ؛ وهذه الآيات تدلّ على ذلك.

جزاكم الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرس الجزء الأوّل

اللّقاء الأوّل: الخميس 3 المحرّم 1440 هـ ٣

مدارسة مطلع سورة البقرة من الآية (1) إلى الآية (20) _____ ١٠

"الثّناء على الكتاب وأقسام النّاس تجاه الكتاب" _____ ١٠

الخبر عن الثّناء على كتاب الله: من الآية (1) إلى الآية (2) _____ ١١

من لطائف التّدبّر (1) _____ ١١

الخبر عن القسم الأوّل: المتّقون: من الآية (٢) إلى الآية (٥) _____ ١٣

الخبر عن القسم الثّاني: الكافرون: الآية (6) والآية (7) _____ ١٤

الخبر عن القسم الثّالث: المنافقون: من الآية (8) إلى الآية (15) _____ ١٥

قاعدة التّفكير في مبتدأ الكلام _____ ١٥

تساعد في الحفظ وفي ربط الآيات ببعضها وتكوين مناسبة بينها _____ ١٥

من لطائف التّدبّر (2) _____ ١٦

ملاحظة الحكم على الأصناف الثّلاثة _____ ١٨

من لطائف التّدبّر (3) _____ ١٨

تفاصيل الأخبار عن أقسام النّاس الثّلاثة على حسب إيمانهم بالكتاب واهتدائهم به _____ ٢٠

من لطائف التّدبر (4) _____ ٢٤

اللّقاء الثّاني: الخميس 10 المحرّم 1440 هـ ٣٥

مقدّمة _____ ٣٦

من لطائف التّدبّر (1) _____ ٣٨

مدارسة الآية (8) والآية (9) من سورة البقرة _____ ٤٣

من لطائف التّدبّر (2) _____ ٤٣

مدارسة الآية (10) من سورة البقرة _____ ٤٤

من لطائف التّدبّر (3) _____ ٤٥

مدارسة الآية (11) والآية (12) من سورة البقرة _____ ٤٨

من لطائف التّدبّر (4) _____ ٤٨

مدارسة الآية (13) من سورة البقرة _____ ٤٩

مدارسة الآية (14) والآية (15) من سورة البقرة _____ ٤٩

مدارسة المثل الأوّل في سورة البقرة الآية (16) _____ ٥٠

مدارسة المثل الأوّل في الآية (17) والآية (18) من سورة البقرة _____ ٥١

مدارسة المثل الثّاني في الآية (19) والآية (20) من سورة البقرة _____ ٥٣

دراسة الجزء الأوّل من المقطع الأوّل (21-25) _____ ٥٦

من لطائف التّدبّر (5) _____ ٥٦

دراسة الجزء الثّاني من المقطع الأوّل (26-29) ____ ٦٣

اللّقاء الثّالث: الخميس 17 المحرّم 1440 هـ ٦٦

من لطائف التّدبّر (١) ____ ٦٨

مراجعة الآية (٢١) والآية (٢٢) في المقصد الأوّل من سورة البقرة ____ ٦٩

مراجعة الآية (23) في المقصد الأوّل من سورة البقرة ____ ٧٠

مراجعة الآية (24) والآية (25) في المقصد الأوّل من سورة البقرة ____ ٧١

مدارسة الآية (26) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل ____ ٧٣

من لطائف التّدبّر (2) ____ ٧٣

من لطائف التّدبّر (3) ____ ٧٥

من لطائف التّدبّر (4) ____ ٧٧

مدارسة الآية (27) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل ____ ٨١

مدارسة الآية (28) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل ____ ٨٢

من لطائف التّدبّر (5) ____ ٨٢

مدارسة الآية (29) بالمقطع الثّاني من المقصد الأوّل ____ ٨٣

مدارسة آيات المقطع الثّالث (30_39) من المقصد الأوّل ____ ٨٦

مدارسة آيات قصّة آدم ____ ٩٣

اللّقاء الرّابع: الخميس 24 المحرّم 1440 هـ ٩٨

مراجعة مقدّمة قصّة آدم (21_29) ____ ٩٨

من لطائف التّدبّر (1) ____ ٩٩

قصّة آدم شاهدة على موضوع السّورة ____ ١٠٠

من لطائف التّدبّر (2) ____ ١٠١

من لطائف التّدبّر (4) ____ ١٠٢

معنى ورود {وَإِذْ} في القرآن ____ ١٠٢

من لطائف التّدبّر (5) ____ ١٠٣

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (30) ودلالاتها على التّكريم ____ ١٠٥

مبحث موقف الملائكة وردّهم في قصّة آدم وتقرير مجموعة حقائق في موطن البقرة (30_34) ____ ١٠٧

من لطائف التّدبّر (6) ____ ١٠٩

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (31) ودلالاتها على التّكريم ____ ١١١

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (32) فيها إشارة إلى الله ____ ١١٥

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (33) ودلالاتها على التّكريم ____ ١١٥

أحداث قصّة آدم مع الملائكة في الآية (34) ودلالاتها على التّكريم ____ ١١٦

مبحث الشّيطان في القرآن وتقرير مجموعة حقائق ____ ١١٩

الصّراع بين آدم وإبليس بدأ من الآية (34) ____ ١٢٤

الخبر عن الاختبار وبيان أنّ النّاس ينقسمون فيه إلى قسمين في الآية (38) والآية (39) __ ١٢٩
اللّقاء الخامس: الخميس 2 صفر 1440 هـ ١٣٣
مقارنة قصّة آدم في المواطن السّبعة الّتي وردت في القرآن الكريم _____ ١٣٥
مدارسة مقدّمة المقصد الثّاني من الآية (40) إلى (48) _____ ١٤١
مدارسة الآية الفذّة الآية (40) _____ ١٤٤
مدارسة الآية (41) _____ ١٤٩
مدارسة الآية (42) _____ ١٥١
مدارسة الآية (43) _____ ١٥٥
مدارسة الآيات (44_46) _____ ١٥٦
مدارسة الآية (46) _____ ١٦١